

سِهَاد أَوْ اللَّحْنُ الثَّانِي

محمود تيمور

منتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعها بالجاميزة ٩١٩٣٧٧
٢٥ ميلان الأوبرا - شب ٩٩٠٨٦٨
المطبعة السموه جينوا
مكة الشاويك بالحلمية الجديدة



محمود تيمور

سَهَاد

أَوْ

اللَّحْنُ السَّائِيءُ

مُسْرَحِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ بِالْفُصْحَى

فِي ثَلَاثَةِ فُصُولٍ

المطبعة النموذجية

٦٦ مكة المكرمة والطباعة الجديدة

أشخاص المسرحية

سَهَاد : أميرة عربية ، أرملة الأمير « محمد بن الناصر » ، في مِئَةِ
العمر .

مَجَاهِدٌ : أمير عربيّ ، وقائد من الأبطال ، شديد المراس ،
يلقبونه : « الأمير الأسود » . في الثلاثين من عمره .

زِيَاد : رفيق الأمير « مجاهد » وصفّيه ، من القوّاد .
سَيْفُ الدين الخُرَّاسانيّ : أمير من سَرَاةِ العرب في مُقْتَبَلِ
الشباب .

أُمَيْمَةُ : مربية الأميرة « سهاد » ، في الستين من عمرها .
مَرْجَان : رئيس حاشية الأميرة « سهاد » .

أَقْبِيشُ
قَرَطِيشُ } : شقيقان من الحِصْنِانِ البِيضِ ، قَزَمان .

الدليل .

مساعد الدليل .

أم سرُّعَرَع : عَرَّافَة

الفَصْلُ الْأَوَّلُ

« صحراء .. »

الشمسُ غاربة ..

تُسمعُ أنغامٌ موسيقيةٌ تُعبرُ عن الحُدا ..

(من الخارج) : قِفُوا يَا رُكبان !

الدليل

« يقفُ الرُّكَّاب .. »

يدخلُ الدليلُ ، وهو ينفُضُ عن ثوبه الغبار ،

وراءه مساعدُهُ ،

مساعد الدليل : أنترك الخيولَ والإبلَ ترعى وترتع ؟

الدليل : لا .. أعقلوها ، وقربوا لها الغلف .. سنلبثُ

الدليل

ربما يَبْزُغُ القمر .

مساعد الدليل : أما كان أولى أن نلبثَ حتى تَبْزُغَ الشمس ؟

الدليل : أى شمس ؟ متى لاح القمر سمعتم بوقَ الرحيل

الدليل

- ٦ -

يُهَيِّبُ بِكُمْ أَنْ اسْتَعِدُّوا ..

مساعد الدليل : كيف نستعد ؟ هل مررت بنا لحظة راحة ،
منذ بدأنا هذه السفرة ؟ لقد مات من الخيول
خمسة ، وكلت الجمال وشكت ، فإظنك بحالنا ؟
هلا كنت بنا رحيا ؟

الدليل : هكذا شاء الأمير ..

مساعد الدليل : ما أحسب الأمير إلا راغباً في الإجهار علينا !

الدليل : كفى ثرثرة .. امض إلى عملك !

مساعد الدليل (وهو خارج ، في يأس) : سمعاً وطاعة :

الدليل : (وقد توسط البقعة) : إني لفي خيرة من أمر

هذه الرحلة .. لا أعرف كيف ابتدأت ،

ولا أدري متى تنتهى !

د يدخل الأمير (مجاهد) وقد سمع كلام

الدليل . ومعه رفيقه (زياد) ..

الأمير (مجاهد) يلبسُ السواد ،

مجاهد (للدليل) : يبدو أن رَحَلْتَنَا لَا تَرْوُقُكَ
الدليل : رَحَلَةٌ مَوْفَقَةٌ يَا مَوْلَايَ .. يَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي لَمْ أَقْلُ
شَيْئًا ، وَلَكِنْ ..

مجاهد : ماذا ؟
زيد : يريدُ الدليلُ أن يقولَ إن الركبَ قد أَجْهَدَه
السفرَ ، ولم يبقَ إِلَّا أَنْتَ ..

مجاهد (ضاحكا) : إِلَّا أَنَا ؟ عَجِيبٌ هَذَا ! أَوْ تَعْبَيْتُمْ
كُلَّكُمْ سِوَايَ ؟ لَيْسَ لِهَذَا مَعْنَى إِلَّا أَنَّكُمْ كَسَالَى !
الدليل : كَسَالَى ؟ .. أَيْ تُجْعِلُنِي نَشَاطٌ بَعْدَ هَذَا ؟ لَقَدْ
ظَلَّلْنَا خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا سَائِرِينَ لَيْلَ نَهَارٍ !
مجاهد : وَمَاذَا فِي أَنْ نَسِيرَ لَيْلَ نَهَارٍ ؟ .. أَخْبِرْنِي أَيُّهَا
الدليل : مَتَى نَصِلُ إِلَى قَصْرِ الزَّيْبَرَجِدِ ؟

الدليل : غَدًا ، وَقْتَ الْإَصِيلِ ..
مجاهد (صائحًا) : وَقْتَ الْإَصِيلِ ؟ وَلَمْ لَا نَصِلْ فِي
الظَّهِيرَةِ ؟ لَا بَدَأَ أَنْ نَصِلَ ..

— ٨ —

زياد : تأذن لي أيها الأميرُ أن أسألك : لماذا تخيم
أن نصل في الظهيرة ؟

مجاهد : (لـ زياد ،) هذه إرادتي .. وكفى !
« يلتفت إلى الدليل ، ويقول في لهجة الأمر : »
حتم أن نصل في الظهيرة !

الدليل : نستطيع ذلك إذا سلطنا وادي « بني حيان » ..
ولكنك تعرف أن هذه العشيرة قطاع
طريق ، لا يؤمن لهم جانب ...

مجاهد : أمر لا يكثرث له فلنمر بوادي « بني
حيان » .. أسمع ؟

الدليل : يلزم لذلك أن يسمح لنا « بنو ربوع » أن
نحتاز بين خيامهم .

مجاهد : أو فداً إليهم فارسين يفاوضانهم .

الدليل : إذا رضوا كان ذلك حسناً .. على أن لي رجاء ..

مجاهد : ما هو رجاءك ؟

الدليل : ألا تَضَعْنِي فِي مُقَدِّمَةِ الرِّكَبِ . . إِنْ لِي أَبْنَاءُ

صَغَارًا فِي حَاجَةٍ إِلَيَّ !

زياد : (للدليل) : وَأَنْتِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِزَوْاجٍ جَدِيدٍ

أَيْضًا !

مجاهد : (للدليل) : مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَجْعَلِينَ لَا تَخْشَى

بِأَسَا .. سَأَجْعُلُكَ فِي الْمَوْخِرَةِ .. هَيَّا اعِدِّي ،

مَا يَلَزَمُ .. اسْتَمْعِي لِي ، هَاتِي حُزْمَةً مِنَ الْخَطْبِ

وَأَوْقِدِي النَّارَ هَاهُنَا .. اللَّيْلَةُ بَارِدَةٌ .

الدليل : أَمْرُكَ يَا مَوْلَايَ !

« يَنْحَنِي الدَّلِيلُ وَيَخْرُجُ ،

زياد : إِنْ الْإِعْيَاءُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ظَاهِرٌ عَلَيْكَ ، مِنْ أَمْرِ

الْحَقِّ الَّتِي لَا زَمَّتْكَ أَيَّامًا . يَجِبُ أَنْ تَسْتَرِيحَ

مجاهد : لَا أُحْمِي وَلَا إِعْيَاءُ . أَنَا جَدُّ مَرْتَاكِ !

زياد : لَا أَدْرِي فِيمَ هَذَا الْعَنَاءُ ؟ كُلُّ مَا فُضِمَتْهُ مِنْكَ أَنَا

قَاصِدُونَ قَصْرَ الزَّبَرْجَدِ الَّذِي تَسْكُنُهُ

الأميرة «سهاد» .. ولكن قصر الزبرجد
هذا ليس بحصنٍ خطيرٍ تشدُّ الاستيلاء عليه ،
ولا بتغرٍ مخوفٍ تخشى عليه غارة الأعداء .. فلم
العجالة ؟

مجاهد : قصر الزبرجد فيما أرى فوق هذا كله ..
أنا قادمٌ على الأميرة «سهاد» في مهمةٍ عظيمة .
ز.ياد : ترى هل العلاقاتُ بينها وبين الخليفة على غير
ما يُحِبُّ ؟ «الأمير (مجاهد) لا يحب»
الذى أعرفه أن مولانا الخليفة راضٍ عنها
كلَّ الرضا .. ترى .

مجاهد : إنك تهوى كثرة الكلام بلا جدوى ..
ز.ياد : حقاً إن للأميرة سلطاناً على عشائر البدو
حولها ، ولكن لا خشية منها قطّ ...

مجاهد : أى خشية ؟

« بعد لحظة صمت : »

قل لي يا « زياد » ألا تلاحظُ أن أحوال
الأميرة « سُهاد » لا تخلو من غرابة ؟ ألا
تشبه حياتُها الالغاز ؟

زياد : الأميرة « سُهاد » لم تفارق قصرَها ساعة
منذ تُوِّفَ عنها زوجها « الأمير محمد بن الناصر » .
لقد عاشت في جوف الصحراء عيشةً عزلة
واعتكاف ..

مجاهد : طالما بعث الخليفة إليها يرغّبها في القدوم إلى
« بغداد » ولكنها اعتذرت .. أيكون لها ..
مثلا .. حبيب .. أو ..

« يدخل الدليل بالخطب ، ويأخذ في إشعال
النار أمام صخرة في البُقعة ..
ينقطع الأمير (مجاهد) عن حديثه .
ينقل هو و (زياد) إلى جهة أخرى
يستأنفان الحديث . »

- زياد : يقولون إنها كانت تحب زوجها حبَّ عبادة
- مجاهد : أوه . لقد مات زوجها منذ خمس سنين !
- زياد : ولقد خطبها كثيرٌ من السَّراة والامراء
لأنفسهم ، فلم تقبل من أحد .
- مجاهد : والامير « سيف الدين » . . « سيف الدين
الخراساني » ، ترامت إلى أحاديث عن . .
- الدليل : (وقد اقترب منهما ، بعد ما سمع طرفاً من
كلامهما) : الامير « سيف الدين » فارس عظيم ،
واسع الصيت . يَبْدُ أنه سيء الحظ مع النساء !
- مجاهد : كيف ؟
- الدليل : كان يَهْوَى بنت « أبي الاحماس » شيخ قبيلة
« بني حيان » . . وكان يُغْدِقُ عليها الهدايا
والتحف . . ولسكنها لم ترض به زوجاً ،
وآثرت عليه رجلاً فقيراً . . حادياً من حُدَاة
الإبل !

- زياد : عجيب هذا ا .
- الدليل : شدّ ما تختلف أذواقُ اللّساء .. منهنّ مَنْ تشبّههُ
- الحُرّ : ترك المَرْجَ الفَيّاحَ لَتَتَمَرَّغَ في التراب ا
- زياد : حقا .. الحمار لا يتمرّغ إلا في التراب ا
- الدليل : ذلك هَواه ..
- مجاهد (وقد ضاق ذرعاً بهذا الحِوَار) : ألم تَذَنّه بعدُ
- من إيقاد النار ؟ انصرفْ عنا ..
- الدليل : سيمعاً وطاعة .
- « يخرج الدليل »
- الأمير (مجاهد) يَضُمّت ، وقد استرسل في
- تفكيره «
- زياد : يقولون إن الأمير « سيف الدين » عَرَضَ
- نفسه على الأميرة « سُهاد » لتزوَّجَه
- مجاهد : أو يحبُّها ؟
- زياد : يعلمُ الله ..

مجاهد : زواجُ مصلحةٍ بلا شكّ .. يريد « سيف الدين »

أن يستفيدَ بما لها ، وينتفعَ بها .. وسرعانَ

ما يُعلنُ عصيانه على الخليفة !

زياد : ما أكثرَ الإشاعاتِ أيها الأمير !

مجاهد : « سيف الدين » رجل دَسَّاس .. واجبٌ على

الخليفة أن يتحرَّزَ منه !

زياد : هذا ما يقوله بعض الناس ، وثمة بعضٌ

آخرون يقولون غيرَ هذا .. أما الحقيقةُ فلا

عَلِمَ لنا بها !

مجاهد : سأعرفُها أنا يا « زياد » .. سأعرفها .

« يعتمد الأمير (مجاهد) على الصخرة القائمة

بجوارِهِ يُجَالِدُ التعب ،

زياد : يحملُ بك أن تستريحَ أيها الأمير .. إن لبَدَّ نك

عليك حقاً .

مجاهد : لستُ متعباً !

زياد : لا حول ولا قوة إلا بالله .. أو تشغلك تلك .

المهمة إلى هذا الحد ؟ .. أذهب لتفتح قلعة
يحميها الشياطين ؟ !

مجاهد : « زياد » !

زياد : هل تكون تلك المهمة أكبر شأنًا من الغزوات

التي رجعت منها منصور أخفاق اللواء

مجاهد : حقا ، كتب لي النصر دائما .. ومن أجل

ذلك أخشى الخيبة هذه المرة !

زياد : ما هذا ؟

مجاهد : غزوة اليوم ليست من جنس الغزوات التي

ما رستها من قبل ..

زياد : أنت ميمون الطائر دائما أيها الأمير !

« يصعدان هنيئة » .

النار الموقدة يخبئ لها .

يرتفع من أغوار الظلام صوت طاري .

- ١٦ -

- الصوت : منصور ا
مجاهد : (مدهوشا) : لمن الصّوت ؟
زياد : (وقد التفتَ يَمَنَةً وَيَسْرَةً) : عجباً .. لا أرى
أحداً ا
الصوت : لا يَرى في الظلام إلا ..
مجاهد : (مقاطعاً) : انتبه أيها المتكلم .. إن سيفي
يستطيع أن يُبْصِرَ في الظلام ، وإن له حداً
يشقُّ الصّخر ا
زياد : (مستوحشا) : لا تنسَ أيها الأمير أننا في
خَرِبَةٍ هي أطلالُ قصرٍ عتيق .. لعلّ ساكنيه
اليوم ..
مجاهد : جنّ أو إنس .. ان يَفْلِتَ من يدي
أحد .. أشعلُ عوداً من الحطب ا
الصوت : لا حاجةَ إلى النار .. ربما أحرقتُ أصابعكما .
هأنذا ..

« يبدون وراء الصخرة شبح متلفع بالسواد »

مجاهد : تكلم ، وقل : من أنت ؟ وإلا تكلم السيف !

الشبح : رويدك يا أميرنا « مجاهد » .. صدق من

لقبك « الأمير الأسود » !

مجاهد : ما اسمك ؟

الشبح : (وقد تقدّم) : أنا « أم سرعرع » ..

زياد : عرافة الصحراء ؟ يا للنسكة !

مجاهد : (في لهجة عنيفة) وما شأنك بنا يا غراب البين ؟

العرافة : على رسلك أيها الأمير .. مثلك لا يليق به

أن يخاطب امرأة بهذه اللهجة الغاشمة !

« تقرب منه »

أخذ سيفك حتى لا يسقط عليه ندى الليل

فعلوه الصدا .. وسيفك كل شيء فيك !

مجاهد : كيف عرفتني !

زياد : حقا إنه لعجيب ..

- العِرافَة : لا تَجِبُ .. أُنَمَّةَ أَحَدٍ لا يَعْرِفُ ، الأَمِيرُ
الأسود ، ؟
- مجاهد : وماذا بَعْدُ ؟
- العِرافَة : أَنْتَ مُتَعَبُ الجَسَدِ أَيُّهَا الأَمِيرُ .. أَمَا رَفِيقُكَ
فِرَاسُهُ هُوَ الْمُتَعَبُ ، وَإِنْ كَلَامُهُ لِكَثِيرٍ !
- زياد . ما هَذَا الهَذَرُ ؟
- العِرافَة : (لـ « مجاهد ») : عَيْنَاكَ أَيُّهَا الأَمِيرُ لَيْسَتْ
مَعَكَ .. هُمَا فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ ؟
- مجاهد : فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ ؟
- العِرافَة : فِي مَكَانٍ عَظِيمٍ ، أَسَرَّتُهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَحَشَايَاهُ
مِنْ حَرِيرٍ !
- مجاهد : (مُسْتَدْرِكَا) : تَكَلَّمِي فِي غَيْرِ هَذَا ..
- زياد : إِنْ كُنْتَ فِطْنَةً حَقًّا فَلتَحْدِثِيْنَا : هَلْ يُوفِقُ
الأَمِيرُ فِي رَحْلَتِهِ تِلْكَ ؟
- العِرافَة : الأَمِيرُ قَائِدُ مُدْرَبٍ ، وَسَيْفُهُ دَائِمًا غَلَابٌ !

- ١٩ -

- زياد : حسن جدًا .. وأنا ؟
- العرّافة : (لـ « مجاهد ») : قلت لك : إن رفيقك هذا كثير الكلام !
- مجاهد : (في لهفة وتثؤف) : اصْدُقِيْنِي : هل أنتصرُ في مُهمّتي تلك ؟
- العرّافة : أنتَ على الدوام منتَصِر .. منتَصِر ما دمتَ بمُتَظيّا جِوادك ، شاهراً سِيفك !
- مجاهد : ماذا تَعْنِيْن ؟
- العرّافة : أنتَ الآنَ متَعَبُ الجَسَدِ يا بُنَيَّ .. يجب أن تنالَ قِسْطاً من الراحة .
- « تأخذُ يديه »
- أنا في مَقامِ أَمَلِك .. تعالَ اسْتَرِخْ هنا ..
- « يسيرُ مَعَهَا طائِعاً »
- هنا .. تَمَدَّدْ على هذا الرَّمْلِ الناعم ..
- « يتمدّد الأمير »

- ٢٠ -

سَأْرِقِيكَ .

« تُغَمِّمُ بِبَعْضِ أَلْفَاظٍ مُبْهِمَةٍ ، وَهِيَ تَحْرُكُ
يَدَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ ..

الأمير يَسْتَغْرِقُ فِي النُّومِ .

العَرَّافَةُ تَقُولُ لـ (زِيَاد) : «

مَلِكِ النَّوْمِ صَاحِبِكَ .. تَعَالَ ..

« تُمَسِّكُ يَدَهُ »

تَعَالَ ..

: (مَتَرَدِّدًا) : أَيْنَ تَذْهَبِينَ بِي ؟

زِيَاد

: مِمَّ تَخْشَى ؟ تَعَالَ نَمُضْ إِلَى الدَّلِيلِ ، لَا كَشْفَ

العَرَّافَةُ

بَعْضَ مَا خَبَّأَهُ لِسَاجَةِ الْقَدَرِ ..

« يَخْرُجَانِ .

يَسُودُ السَّكُونُ الْمَسْكُونِ .

تَتَخَمَّدُ النَّارُ .

تَبْدُو فِي الْجَانِبِ الْمُقَابِلِ لـ (مُجَاهِدٍ) أَشْبَاحٌ

مختلطة يكسوها حُباب . تتوضَّح تدريجاً فأذا
هي قاعةٌ في قصر . . تُرى الأميرة (سهاد)
ومعها الأمير (سيف الدين الخراساني) . .

سيف الدين : (لـ « سهاد ») أحبك يا « سهاد » !

سهاد : أنعرفُ ما الحبُّ ؟ وماذا يَجْرُ من متاعِب
وآلام ؟

سيف الدين : المتاعِبُ والآلامُ تَهْوَنُ في سبيلِ حُبِّك
يا « سهاد » !

« يحدِّقُ فيها طويلاً ،

سهاد : لماذا تحدِّقُ فيّ ؟

سيف الدين : أريدُ أن أتمتَّعَ بما ينبعثُ من نورِ عَيْنَيْكَ !

سهاد : نِهَامُ عَيْنَيَّ أَحَدٌ من شِفَارِ السيوفِ ، ونارِ
قلبي أحمى من عَيْنِ الشمسِ . .

حَذَارِ يا « سيف الدين » !

« يقفان هُنيئَةً ، يتبادلان الغرامَ ، وهما

- ٢٢ -

صامتان .. على حين تحيط بهما نعمات
موسيقىَّةٌ شجيَّةٌ .

تهدأ الموسيقى رويدا .

يغشى الضبابُ شبحي (سيف الدين)
و (سُهاد) ..

يختفي منظرُ الفاعة بما فيه ،

(يصحو من نومه فجأة . يقول في دهشة ، وهو

مجاهد

يتلفت حوالَيْه) : ما هذا ؟ أين أنا ؟ شئٌ عجيب ! .

« أم سرَّ عَرَّع » .. « زياد » .. لا بد أن نَرُحَل

حالا . . . !

« تُسمَعُ صُوضَاءٌ من الخارج ..

يدخل (زياد) والدليل في حالة اضطراب

الأمير (مجاهد) يسألُهما :

ماذا جَرى ؟

: « بنو يربوع » قتلوا أحدَ الفارسيِّين اللَّذَيْنِ

زياد

— ٢٣ —

أَوْ فِدْنَاهُمَا لِلدِّفَاوَضَةِ ..

مجاهد : أَيْ قَتْلُونِ رَجُلًا مِّنْ رَّجَالِي ؟

الدليل : وَلَقَدْ هَمُّوا بِقَتْلِ الْآخَرِ ، لَوْلَا أَنَّهُ عَرَفَ كَيْفَ

يَنْجُو بِنَفْسِهِ !

مجاهد : فَيَرْتَقِبُوا مَا أَنَا فَاعِلٌ بِهِمْ ! .. « لِلدَّلِيلِ : »

انْفُخْ فِي السُّبُوقِ أَيُّهَا الدَّلِيلُ ..

زياد : مَاذَا تَرِيدُ أَنْ تَعْمَلَ ؟

مجاهد : سَنَمْضِي وَسَطَ خِيَامِ « بَنِي يَرْبُوعِ » ، عَلَى

الرَّغْمِ مِنْهُمْ . وَسَنُنْكَلُ بِهِمْ ، جَزَاءَ غَدْرِهِمْ .

زياد : رَجَالُنَا قَلِيلٌ .

مجاهد : حَسْبُكُمْ وَجُودِي !

زياد : رَأَيْتُ مُوَلَايَ .

مجاهد (لِلدَّلِيلِ) : تَوَلَّ عَمَلَكَ .

« يَخْرُجُ الدَّلِيلُ

(مُجَاهِدٌ) يَقُولُ لـ (زِيَادٌ) : «

والعراقة ، أين ذهبت ؟

زياد : خرجت معي ، وماهي إلا هنيهة حتى تفقد
فلم أجدها .

مجاهد : عجيبٌ هذا . ، و أنا .. كيف نمت ؟

زياد : كما ينامُ الخلق !

مجاهد : قد كان حُلماً غريباً .

زياد : ماذا رأيتَ في منامك !

مجاهد : لا تدخلُ فيما لا يعنِيكَ !

زياد : كذلك أنتَ . . لغزٌ مُلتبسٌ ، لا يفهمُه أحدٌ

مجاهد : لا تضِغْ وقتك في العبث .. أخبرني : فقد

الطليلة بيومين إلى قصر الأميرة « سهاد

ألا ترى أنها لا بُدَّ أن تكونَ قد وَصَلَه

ولا بد أن تكون قد أعلنتَ نبأً قد ومنا

زياد : ليس في ذلك من شكٍّ !

« يُسمع البوقُ ، مؤذناً الركبَ بالرحيل .

- ٢٥ -

مجاهد : (في لهجة التأكيد) : سنبليخ قهر الزبرجد

قبل الظهر ..

« بدخل الدليل »

الدليل : انبعت الركب يا مولاي .. وجوادك الأذهم

معداً

مجاهد : جوادى ؟ .. أجل .. وهذا سيفي ! اتبعنى

يا (زياد) .

« يخرج الثلاثة .

تسمع الأنغام الموسيقية التي تعبر عن

الحذاء ... »

(ستار)

الفصل الثاني

بهو أنيق يدلّ على البذخ والترّف ،
يتوسّطه باب كبير يؤدّي إلى الشرفة المطلّة
على حديقة تكتنفها رمال الصحراء . . .
القزّمان الخَصِيَّان : (أقيش) و (قرطيش)
جالسان متقابلين ، يتلاعبان بأيديهما ، وكلما
أخطأت يد أحدهما يد الآخر استغرق كلاهما
في الضحك .

خلف باب الشرفة سلّتا فاكهة .
صوتُ بوقٍ يرتفع من بعيد ، فتجيبه
أصوات من أبواق القصر .
(أقيش) و (قرطيش) يتسمعان في فزع
تدخل (أميمة) كبرى الوصيفات ،

أُمَيِّمَةٌ (لـ « أقميش » و « قرطيش ») : أما تَنْتَهِيانِ
عَنْ عَبَثِكُمَا أَيُّهَا الْبَلِيدَانِ؟ قِفَا... أَيْنَ الْفَاكِهَةُ؟
أَقْمِيشُ وَقَرَطِيشُ (في صوت واحد، وهما مذعوران ذَاهِلَانِ) :
البوق ! البوق ! ..

أُمَيِّمَةٌ : البوق ؟ مَا لَكُمَا وَلِلْبُوقِ ؟ سَأَلْنُكُمَا عَنْ الْفَاكِهَةِ
أَيْنَ هِيَ ؟
« تَصِيح » :

الفاكهة !

أَقْمِيشُ وَقَرَطِيشُ (في صوت واحد) : الْبُوقُ ! .. الْبُوقُ ! ..
أُمَيِّمَةٌ : هَذَا الْبُوقُ مِنْ أَجْلِ قَدُومِ الْأَمِيرِ « مُجَاهِدِ »
الْعَظِيمِ رَسُولِ الْخَلِيفَةِ .. سَيَشْرُفُ قَصْرَنَا
بَعْدَ قَلِيلٍ ..

أَقْمِيشُ وَقَرَطِيشُ (يَتَبَادَلَانِ النَّظَرَاتِ ، وَيَصِيحَانِ فِي فَرَحٍ
وَتَهَلُّلٍ) : الْأَمِيرُ « مُجَاهِدُ » الْعَظِيمِ رَسُولِ الْخَلِيفَةِ !
أُمَيِّمَةٌ : الَّذِي لَقَّبَهُ النَّاسُ بِالْأَمِيرِ الْأَسْوَدِ ..

أقيش وقرطيش (وقد انقلب فرحهما حيرةً وخوفاً، يرددان):

الأمير الأسود ١٩ الأمير الأسود ١٩

أميمة : أجل، وماذا في هذا؟

أقيش وقرطيش: الأمير الأسود ١٩ بالخبر الأسود ١

أميمة : سَوَدَ الله عيشكما .

أقيش (وهو يجاهد في ابتلاع ريقه): وهذا الأمير،

هل هو أسودٌ حقاً؟

قرطيش . هل هو أسودٌ حالك؟

أميمة : نعم، أسودٌ حالك، وماذا في هذا؟ أفهماً أيها

الغبيان أن هذا الأمير سُمِّيَ الأميرَ الأسود

لأنه لا يفارقُ لبسَ السواد ..

أقيش : أحزين هو؟ واكبدى عليه ١

أميمة (في تهكم): حزنٌ على أهلك الغالي ١

قرطيش : إنه لرجلٌ طيبٌ .. جزاه الله كلَّ خير .

أميمة (وقد ضاقت ذرعاً): خير أو شر .. إنى

- أَسْأَلُكُمْ عَنِ الْفَاكَةِ . أَجِيبَانِي !
 نَاقِيش (يَتَلَفَّتْ ، وَهُوَ يَهْرُسُ رَأْسَهُ) : الْفَاكَةُ ؟
 الْفَاكَةُ ؟ كَانَتْ هُنَا ..
- أَمِيمَةُ : كَانَتْ هُنَا ؟ .. وَأَيْنَ ذَهَبْتُمَا بِهَا ؟
 قَرطِيش (وَهُوَ يَتَلَفَّتُ بَاحْثًا) : أَقْسَمُ بِشَرَفِ أُمِّي لَقَدْ
 كَانَتْ هُنَا !
- أَمِيمَةُ : هَذَا كَلَامٌ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ .. سَأَنِي لِكَمَا
 بِالسَّوْطِ !
- أَقْمِيش (فِي جَزَعٍ) السَّوْطُ ؟ وَاللَّهِ أَنَا مَظْلُومٌ !
 « يَشِيرُ إِلَى (قَرطِيش) » :
 لَقَدْ أَكَلَهَا هَذَا ..
- أَمِيمَةُ : لَ « قَرطِيش » : أَنْتَ ؟ أَنْتَ أَكَلْتَ
 الْفَاكَةَ ؟
- قَرطِيش (مَحْتَجًّا فِي تَأَنُّةٍ وَتَلْجُلُجٍ) : لَا وَاللَّهِ .. لَمْ
 أَكَلَهَا .. هُوَ الَّذِي الَّذِي أَكَلَهَا كُلَّهَا !

أقيش (منتحياً، وقد أخذَ بِخِنَاقٍ « قرطيش ») :
 أتعجُّوْا على هذا ؟ أنا الذى أَكَلْتُهَا ؟ ألم تأْكُلْهَا
 أنتَ ، حتى لقد اتَّهَمْتَ مِنْهَا بُرْتَقَالَةَ بِقَشْرِهَا
 وبِزْرِهَا ١٩

قرطيش (أخذاً بِخِنَاقٍ « أقيش » أيضاً) : والخَوْخَةُ
 التى ابتَلَعْتَهَا أَنْتَ ، ألم تَقِفْ فى حَلِقِكَ حتى
 كادتْ تَقْضَى عَلَيْكَ ؟

أميمة : باللائِكَةِ ! .. أَكَلْتُمَا فَكِهَةَ المَادُّبَةِ .. لن نُفْلِتَا
 من يَدَيَّ !

« تَهْجُمُ عَلَيْهِمَا ، وتَجْرُثُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا من
 قَعَاهُ ، وهى تقول : »

سَأُشْبِعُكُمَا ضَرْباً بالسَّوْطِ .. سَأُهْلِبُ ظَهْرَ يَكَا
 سَأُرِيكُمَا نَجُومَ الظُّهْرِ .. تَأْكُلَانِ فَكِهَةَ المَادُّبَةِ
 بلا حَيَاءٍ ١٩ ..

« تَخْرِجُ بِهِمَا ، وهما يتصايحان منتحبينين

- ٣١ -

- لا يلبث « مرجان » أن يدخل ،
- مرجان : (صائحاً ، يصفق) : الفاكهة .. القاكهة ..
يا « أميمة » .. هاتي الفاكهة !
- أميمة : (تُهرعُ إليه) : أما علمت ؟ أكلها التَّعِيسَانِ !
- مرجان : أى تعيسين ؟
- أميمة : « أقيش » و « قرطيش » .. لم يدعَا منها شيئاً !
- مرجان : أأكلها كلها ؟ ما هذا الكلام ؟ أيلتَهَمَانِ
سَلَّتَيْنِ ؟
- « يروح ويحيى » فى البهو نائراً ،
- أميمة : سأشوى جلدَيهما بالسَّوْط .. سأ ذكُلُ بهما
شرّاً تنكيل !
- مرجان : (ذاهباً آيها) أى تنكيل ؟ والمأدبة ؟ والمأدبة ؟ !
- « يقعُ بصرُهُ بغتةً على السلتَيْنِ خلفَ بابِ
الشُّرفة . يُسرِعُ إليهما ، ويصيحُ :
السلَّتَانِ هناك .

— ٣٢ —

- أميمة (تلحق به) : أحقًا ؟
- مرجان (وهو ينظر في السلتين) : لم ينقص منهما إلا قليل !
- « يحمل (مرجان) سلة ، وتحمل (أميمة) أخرى ، وهما يتفحصان جيداً ما فيهما ... »
- أميمة : لله الحمد ! .. أو شكنتا أن نفتضح ، ولكن الله سلم !
- « تلتفتُ إلى (مرجان) ، أخبرني : هل وصل الأمير ؟ »
- مرجان : عما قليل يحضر ..
- أميمة : عجيبةٌ يا «مرجان» قصةُ هذا الأمير ..
- لا ندرى له أصلاً ولا فرعاً ..
- مرجان : لماذا؟ الأميرُ « مجاهد » قائدٌ عظيم من قواد الخليفة ..
- أميمة : لم أنكر أنه قائد عظيم ، قائد منقطع النظير ،

— ٣٣ —

ولكن الناس يُشيعون عنه أنه لم يكن يعرفُ عنه
شئ قبلَ عامين . . من أبوه ؟ ما قبيلته ؟ أى
صناعةٍ كانت له ؟

مرجان : تعنين أنه هبط من السماء، أو انشقت عنه الأرض
أميمة : هكذا يبدو لنا . .
مرجان : (يضحك في تعاضم) : أنتِ سليمةُ النيةِ
يا « أميمة » .

« يربّتُ كتفها ملاطفاً ،

ومع ذلك : مالنا ولهذا ؟ هبطت به السماء أو كم
تمهّط ، انشقت عنه الأرض أو لم تنشق ، حسيب
نسيب أو غير حسيب نسيب ، كل ما علينا أن
نُعِدّ له المادّة الكبرى كما امرتنا الأميرة « سهاد » .
سأذهبُ بالفاكهة إلى المائدة .

« يحمل السلتين ويخرج . (أميمة) تقصّدُ بابَ
الشرقة ، وتحقّق في الفضاء بعين متفحّصة .

— ٣٤ —

تدخل الأميرة (سُهاد) «

سُهاد : علام تنظّلعين يا « أميمة » ؟

أميمة : (وقد دنت من الأميرة) : كنتُ أظلمُ إلى

رَئِبِ الأمير ..

سُهاد : هل ظهر الرَّئِب ؟

أميمة : أصدُوكِ القَوْل . لم تقع عيني على شيء !

سُهاد : (مبتسمةً) : الطريقُ من الجانبِ الآخرِ يا « أميمة » .

حدّثيني : ماذا سمعتِ عن هذا الأمير وعن سببِ

قدومه إلى ؟

أميمة : (تفرُّكُ يديها) : والله يا مولائي .. « تصممت »

سُهاد : لا تخفي عني شيئاً .. ماذا سمعتِ ؟

أميمة : كلامُ الناسِ كثير ..

سُهاد : ماذا يقولون ؟

أميمة : يقولون إنه ربما جاء برسالةٍ من الخليفة في شأن

الأمير « سيف الدين » ..

سهاد : الأمير « سيف الدين الخراساني » ؟ الذي يَبْتِهَمُهُ
الناسُ بأنه يحوِّكُ مؤامرةً على الخليفة ، ويقولون
إنه طلبَ معوّتي ؟ أنتم هذه المسألة يا « أميمة » .
لقد فضضتُ الخلافَ الذي كان قائماً بين الخليفة
و « سيف الدين » .

أميمة : ربما كان الأميرُ قادمًا لشأن آخرَ .

سهاد : مثلَ ماذا ؟

أميمة : مثلَ .. مثلَ ..

« تَسْتُرُ وجهها متضاحكةً ،

سهاد : ما بكِ ؟ تكلمِي !

أميمة : ابنُ الخليفةِ الأكبر .. المسَمَّى .. المسَمَّى

سهاد : « المعتمدَ بالله » .. ما له ؟

أميمة : (وهي تَلْثِي طَافَ رداثها و تَبْسُطُه) : يُذِيعُونَ

أن « المعتمدَ بالله » ، هذا سمعَ صفاتِ أميرتنا

الحسنةاء . فَجَذَبَهُ إليها الحب !

- ٣٦ -

سهاد : (تَضَجَّكَ) : جَذَبَهُ الْحُبُّ؟ بِالسَّمْعِ يَادْ أُمَيْمَةَ ، !

أُمَيْمَةَ : ولم لا ؟ الْأُذُنُ تَعَشَّقُ كَمَا تَعَشَّقُ الْعَيْنُ !

سهاد : (سَاهِمَةٌ) : الْأُذُنُ تَعَشَّقُ كَمَا تَعَشَّقُ الْعَيْنُ ؟ أَيْحِبُّ

الْإِنْسَانُ أَحَدًا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ عَيْنُهُ ؟ ... غَيْرُ

مَعْقُولٌ هَذَا !

أُمَيْمَةَ : أَوْكَّدَ لَكَ يَا بُنَيَّةُ أَنْ هَذَا مَكِينٌ مَيْسُورٌ... مَا أَكْثَرَ

حُدُوثَهُ !

سهاد : أَتُظَنِّينَ أَنْ مَنْ يَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا الْحُبِّ يَكُونُ حُبَّهُ

صَحِيحًا ؟

أُمَيْمَةَ : غَايَةَ الصَّحَّةِ ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ أَعْلَى أُمَثَلَةِ الْحُبِّ

الصَّادِقِ

« تَدْنَهُدْ طَوِيلًا ،

سهاد : مَا لَكَ ؟

أُمَيْمَةَ : لَا شَيْءَ !

« تَدْنَهُدْ أَيْضًا فِي حَسْرَةٍ »

سهاد : أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي : مَا لَكَ ؟ يَبْدُو أَنَّكَ

صَادَقْتَ فِي حَيَاتِكَ مِثْلَ هَذَا الْحَبِّ

أميمة : (وَقَدْ احْتَبَسَ صَوْنُهَا بِزُفْرَةٍ عَمِيقَةٍ) لَا تُدَكِّرُنِي

مَا قَاتِ !

سهاد : أَلَمْ تَرَيْهِ قَطْ ؟

أميمة : (وَهِيَ تَمْسَحُ عَيْنَيْهَا) : بَلْ لَمْ أَشْهَدْ لَهُ خِيَالًا ، وَلَقَدْ

ظَلَمْتُكَ كَذَلِكَ حَتَّى بَاعَدَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ بِالْفِرَاقِ الْآبِدِيِّ

سهاد : (وَقَدْ تَجَمَّعَ وَجْهَهَا) : بِالْفِرَاقِ الْآبِدِيِّ ؟

« تَلْتَمِذٌ »

مَسْكِينَةٌ أَنْتِ يَا « أُمَيْمَةُ » !

أميمة : وَحَتَّى الْآنَ لَا يَكَادُ يَخْطُرُ بِيَالِي حَتَّى أَحْسَنَ كَانَ

خِنْجَرًا يَمْزِقُ لِفَائِفَ صَدْرِي !

سهاد : (سَاهِمَةٌ) : مَسْكِينَةٌ أَنْتِ « يَا أُمَيْمَةُ » . . .

أميمة : تِلْكَ قِصَّةٌ عَفَى عَابَهَا الزَّمَنُ . . . دَعَيْنَا مِنْهَا !

« مُتَضَاحِكَةٌ »

حَدِيثُنَا الْآنَ فِي « الْمُعْتَمِدِ بِاللَّهِ » ابْنِ الْخَلِيفَةِ ...

لَا تَنْسَى أَنَّهُ وَلِيُّ الْعَهْدِ ... وَأَنْ مَسْتَقْبَلُ الْخِلَافَةِ لَهُ ..

وإِذَنْ يَجِيءُ يَوْمٌ تُصْبِحِينَ فِيهِ « أُمُّ الْبَنِينَ » !

سهاد : أَنَا لَا أَفَكِّرُ فِي الزَّوْاجِ يَا « أُمَيْمَةُ » ..

أُمَيْمَةُ : تُرِيدِينَ أَنْ تَظَلِّيَّ عَاسَاً بَقِيَّةَ عُمُرِكَ ؟

سهاد : هَذَا حَظِّي !

أُمَيْمَةُ : بَعْدَ الشَّرِّ عَنْكَ ... إِنْ أَكْبَرَ الْقَوْمِ مَا يَزَالُونَ

يَتَهَاقَتُونَ عَلَيْكَ ، وَيَنْظُرُونَ كَلِمَةَ الرِّضَا مِنْكَ !

سهاد : لَنْ يَسْمَعُوهَا ...

أُمَيْمَةُ : مَا هَذَا يَا ابْنَتِي أَلَمْ يَحْنِ الْوَقْتُ لِأَنْ تَنْسَى زَوْجَكَ

الْأَمِيرَ « مُحَمَّدَ بْنَ النَّاصِرِ » ؟ أَكْذَلِكَ تَحْرِمِينَ نَفْسَكَ

مَتَاعَ الدُّنْيَا وَأَنْتِ فِي أَوْجِ شَبَابِكَ وَنِصَارَتِكَ ؟

الشَّبَابُ كَنْزٌ يَا ابْنَتِي لَا يَقْدَرُ بِجَاهٍ وَلَا مَالٍ . إِيَّاكَ

وَالْتَفْرِيطَ فِيهِ !

سهاد : قُلْتُ لَكَ هَذَا حَظِّي يَا « أُمَيْمَةُ » ...

أميمة : أى حظ ؟ إن حظك بين يديك تُصرفينه كما
تشائين .. سرى عن نفسك .. أكان زوجك
يبيغى منك أن تخفى على روحك هذه الجناية ؟
سهاد : زوجى ؟ «تتهدد» ليت الامر مقصور على فقدان
زوجى !

أميمة : (وقد اقتربت منها وأمسكت يدها ، تقول فى
صوت خافت) : أئمة شئ آخر يشغل بالك ؟
«الاميرة (سهاد) ساهمة تفكر»

أكشفى لى عن مكنونك يا بُنية ، لا تخفى عنى دخيلة
من دخائل قلبك ، ولتعالى أنى مستودع السر !
سهاد : آه يا «أميمة» ... بأى شئ أهدئك ؟ أقادرة
أنا على أن أصف لك الأحاساس المبهمة التى
تتلاطم فى صدرى ؟ أو أن أشرح لك العواطف
الغريبة التى تغزو قلبى ؟ أهى حنين ؟ أم هى أسف ؟
أم هى إشتاق ؟ أم هى ... لست أدرى : بأى

لفظِ أَعْبَرُ ١٩

- أميمة : أفصحى يا حبيبى . حَتَدِثْنِي بِكُلِّ مَا تُحْسِنُ .
 لاني امرأةٌ مُجَرَّبَةٌ ، ولعلَّكَ تستفيدين من تجاربي ؛
 سهاد : شيء ليس في طوقِي أن أعقلَه ؛
 أميمة : ما هو الذي لا تعقلينه ؟
 سهاد : حينما أخلو إلى نفسي ، أشعرُ براحةٍ تَغْمُرُنِي ، ولا
 سِيبًا إذا كنتُ في الحديقة ، والسكونُ باسط
 جناحيه . والليلُ مُرَخٍّ أَسْتَارَه . وليس أمام عيني
 إلا النجومُ تُتَنَاجِيُنِي وأنا جِيهَا . . هناك أطلقُ
 رُوحِي تَسْبَحُ في دنيا الأحلام البعيدة .. الأحلام
 الجميلة . . فلا ألبثُ أن أهفو إلى سَمَاعِ الناي
 مستعذبةً لغماته الحنون ! . . آه يا دُؤْمِيمةُ ، !
 ما أروعَ صوتَ الناي ! . . وإني لأظُلُّ كذلك
 سَكْرَى بأحلامي ، لأدري : أين أحلَّق ؟ وبغتهُ
 أجِدُ الدموعَ تتسائلُ على خدِّي . .

- « ترتبى على صدر (أميمة) وتشفق باكية »
- أميمة : (تلاطفها) : قصتك تبعث على العجب يا ابنتى ..
- وما هو صوت الناي ، ذلك الذى تحب ثيننى به ؟
- سهاد (وقد رفعت رأسها عن صدر «أميمة» ، تتكلم كالخالمة) : هناك عن كُشبٍ من الحديقة ، كان يتردد ، وكان يُنشدُ على الناي ألحانه العذاب !
- أميمة : (فى صوتٍ خافت ، متعجبة) : من هو ؟
- سهاد (وهى ما زالت فى نشوة الأحلام) : إنسانٌ من عالم الدنيا ، أو لعله طيفٌ من عالم الروح ؟
- أميمة : طيفٌ من عالم الروح ؟
- « مَحْدَقُ فى وَجْهِ الاميرة (سهاد) ،
- « سهاد .. « سهاد .. استيقظى يا بنية ! ...
- انتهى !
- سهاد (مسترسلة فى أحلامها) : لم يقع عليه بصرى
- يا «أميمة» ... لا أدرى ما شكُّه ولا أعرفُ من

— ٤٢ —

هو؟ ... الحائنه وحدها التي كان يعزفها على نايه
الجميل هي كل ما أعرفه !

أميمة : وصاحب الناي هذا ... أين ذهب ؟

سهاد : منذ وقتٍ طويلٍ لم أسمع عنه شيئاً .. يقولون
إنه مات !

أميمة : مات ؟

« تفكّر قليلاً ، ثم تصيحُ كأنها أذرت
الحقيقة : »

ذكرتني ... أكونُ حديثك هذا عن الشاعرِ
البائس الذي كان يطوفُ بالقصر ، ويُشيدُ بعضَ
الألحان منذ أعوام ؟

سهاد : ربما كان إياه .

أميمة : لقد راحَ يا ابنتي فريسةَ الأسود ... ألم يتوغلَّ
مرة في الصحراء ، ويته في يديها ، وبعد يومين
عثر الناسُ على ثيابه مُمزقةً تلوّنها الدماء ؟

- سهاد : (تَغَطَّى وَجْهَهَا) : وَاحْشَرَ قَنَاهُ !
 أميمة : دَعِيَ هَذَا .. دَعِيهِ .. تَعَالَى فَأُنْظِرِي مَاذَا أَعْدُوا
 للثَّادِبَةِ ، وَاسْتَقْبِلِي رَسُولَ الْخُلَيفَةِ حَامِلَ الْبُشْرَى !
 سهاد : تَقْدِمِينِي وَسَأَلْحُقُ بِكِ عَمَّا قَلِيلٌ ...
 أميمة : لَا تَبْطِئِي .

« تَتَضَا حَكُ »

مَا لَنَا وَلِلنَّاسِ ؟ !

- « (أميمة) عَلَى أَهْبَةِ الْخُرُوجِ . .
 الأميرة (سهاد) تَمْسُكُ بِهَا . . .
 سهاد : اسْمَعِي يَا « أَمِيمَةُ » . . . أَلَا تَسْتَطِيعِينَ أَنْ
 تَشْرَحِي لِي : مَا هُوَ الْحُبُّ ؟
 أميمة : الْحُبُّ ؟ الْحُبُّ شَيْءٌ جَمِيلٌ يَا بَيْتِي .
 سهاد : أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَمَّا تَشْعُرُ بِهِ الَّتِي تَحِبُّ .
 أميمة : تَشْعُرُ . . تَشْعُرُ بِأُبْدِيَّةٍ بِأَنَّهَا . . بِأَنَّهَا تَجُوسُ خِلَالَ
 حَدِيقَةِ غَنَاءٍ ، حَافِلَةٍ بِمَا لَدُو طَابَ مِنْ زَهَرٍ وَثَمَرٍ :

فل، ورد، ياتمين، تَفَّاح، خَوْخ، تين ..
 تَبْسُطِينَ يَمِينِكَ إِلَى وَرْدَةٍ نَاضِرَةٍ تَقْطِفِينَهَا ،
 وَتَتَمَتَّعِينَ بِعِطْرِهَا الْعَبِقِ ، وَتُؤَدِّينَ يَسَارَكَ إِلَى
 تَفَّاحَةٍ نَاضِجَةٍ فَتَجْنِيهَا وَتَسْتَمِرُّ يَنَ مَذَاقِهَا
 الْحُلُو .. هَذَا وَأَنْتِ فِي جَوْ صَحْوٍ ، وَنَسِيمِ لَيْلٍ ،
 وَظِلِّ وَارِفٍ ... الْحُبُّ فَرْدَوْسٌ يَا بُدَيْتِي ...
 فردوسُ الدنيا الذي لَا يُعَوَّضُ !

سهاد : وهذه الجنةُ يا دَأْمِيمةُ ، أَلَا يَعْتَرِضُهَا الشُّوْكَ ؟

أَمِيمة : مَلَأَى بِالشُّوْكَ ... لَا يَغَادِرُهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا مُثَخَّنًا

بِالْجِرَاحِ !

سهاد : جِرَاحٌ ؟

أَمِيمة (مبتسمة) : أَجْلُ جِرَاحٍ ، وَلَكِنْهَا جِرَاحٌ مُسْتَعْدَبَةٌ !

سهاد : هَذَا شَأْنُ الْحُبِّ الْقَائِمِ عَلَى الْمَشَاهِدَةِ ، فَهَلْ كَذَلِكَ

شَأْنُ الْحُبِّ الْقَائِمِ عَلَى مَجَرَّدِ السَّمَاعِ ؟

أَمِيمة : بَلْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَثَرًا ... اسْمَعِي يَا بُدَيْتَةُ ...

لا تَذْكُرْنِي مَا مَضَتْ بِهِ الْيَافُ ، فَنَمَلِي نَفْسِي
هَمًّا فِي هَذِهِ السَّاعَةِ ... دَعِينِي أَهْتَمَّ بِعَمَلِي رَائِقَةً

البال !

سهاد : لا بأس ... اذهبي .

أميمة : وأنتِ لا تُبْطِئِي عَنِّي .

سهاد : سألْحَقُ بِكَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ ...

« الأميرة (سهاد) خاليةٌ إلى نفسها تفكر .

بغْتةٌ يَدْوِي صَوْتُ البُوقِ .

يدخل (مَرْجَانُ) :

مرجان : الأمير « مجاهد » رسولُ مولانا الخليفة يطلبُ

الإِذْنَ بالدخول .

سهاد : أَذِنْتُ لَهُ .

« يخرج (مَرْجَانُ) ولا يلبثُ أن يعودَ وخلفه

شِرْذِمَةٌ من حُرَّاسِ القصر .

يدخلُ بعضُ الجوارى على رأسهنَّ (أَمِيمَةٌ) ،

يُصْطَفِ نَ خَلْفَ الْأَمِيرَةِ ،

مرجان : (صائحا) : الأَمِيرُ « مجاهد » رسول مولانا
الخليفة

يدخل الأمير (مجاهد) ووراءه (زياد) ، وكلاهما
في ثياب تَدُلُّ على قدوميهما من مَعْرَكَةٍ .
« لا يكاد الأمير ، (مجاهد) يظهر ، ويقعُ بصرُهُ
على الأَمِيرَةِ حتى يقفَ وقتاً مَشْدُوهاً ، محدِّقاً
فيها (زياد) يلحظ ذلك و يَعْجَبُ له »

زياد : (هامساً في أذنِ الأمير) : ماذا جَرَى ؟ الأَمِيرَةُ
تَنْتَظِرُ لِقَاءَكَ .. تَقَدِّمُ !

« الأمير (مجاهد) يتماَلَأُ

يتقدم . ثُمَّ يَرُكِعُ قِبَالََةِ الأَمِيرَةِ »

مجاهد : السلامُ على الأَمِيرَةِ « سُهاد » صاحبةِ قصرِ الزبرجد ،
ودرةِ عشارِ « بنى وَهْدان » ..

سهاد : السلامُ على الأميرِ « مجاهد » رسولِ الخليفة وساعده

الآيَنَ فِي الْفُتُوحِ .. انْهَضْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ نَحْنُ أَوَّلِي
 أَنْ تَجْشَوْا أَمَامَكَ، إِجْلَالًا لَكَ وَاعْتِرَافًا بِفَضْلِكَ ..
 مجاهد : عَفْوًا أَيُّهَا الْأَمِيرَةُ .. تُجَاهَ هَذَا الْحُسْنِ الْبَاهِرِ ،
 يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ مِمَّا تَعْظُمُ مَكَاتُهُ أَنَّهُ تَافَهُ الْقِيَمَةُ
 صَغِيرُ الشَّانِ !

سهاد : مَوْلَايَ الْأَمِيرُ ...

مجاهد (وَهُوَ مَا فَتِيَءٌ رَاكِعًا) : لَيْسَ مِنْ عَظِيمِ بَتِّيَاهِي
 بِنَفْسِهِ إِزَاءَ مَا لَكَ مِنْ عَظَمَةٍ وَجَلَالٍ !
 « الْحَاضِرُونَ يَتَهَامَسُونَ »

زياد (وَقَدْ اِزْدَادَتْ دَهْشَتُهُ وَحَيْرَتُهُ يُجْذِبُ الْأَمِيرُ
 « مجاهدا » مِنْ جَوَانِبِ ثَوْبِهِ ، وَيَقُولُ لَهُ مَخْفُوضٍ
 الصَّوْتِ) . أَلَا تَسْمَعُ هَمْسَ الْحَاضِرِينَ ؟ انْهَضْ !
 « الْأَمِيرُ (مجاهد) يَنْهَضُ »

مجاهد : أَقْدَمَ إِلَى حَضْرَةِ الْأَمِيرَةِ رَفِيقِي الْقَائِدَ « زِيَادَا »
 سهاد : (لـ « زِيَادَا ») أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْأَمِيرِ « زِيَادَا »

- « (زباد) ، ينحنى للأميرة محيياً بلا كلام ،
 مجاهد : يظهر أننا تأخرنا عن الموعد الذي ضربناه
 لحضورنا .. إني لأسف !
 سهاد : الرُّسُل الذين تقدموكم أبلغونا أنكم ستصلون
 صباح اليوم .
 زباد : أو في الظهيرة على الأكثر .
 مجاهد : كنا نصل وقت الظهيرة ، ولم تخرج علينا عشيرة
 « بنى برّيع ، و « بنى حيان » .
 سهاد : « بنو برّيع ، و « بنو حيان » ؟ أما عرفوا أنكم
 وفدُ الخليفة ؟ وأنكم ضيوف على ؟
 زباد : لقد عرفوا ...
 سهاد : يا للَخَوَنةِ الآنْذال لا بدّ أن أبعث اليهم « ابن
 الزاهد » في حَمَلَةٍ لنأديبهم .
 مجاهد : قامت سيوفنا بالواجب ... وفي ذلك كفاية !
 « الأميرة (سهاد) تتفحصُ بنظرها الأمير

— ٤٩ —

- (مجاهداً) و (زيادا) ،
- سهاد : أنما جرّ بحان ... واجبٌ عليّ أنا وجواري أن
نغسلَ لكما جراحكما .
- « ملتفتةً إلى الجواري :
- إلى بالطُشُوت والمناشِف .
- الجواري يتأهّبن للخروج . مذعناتٍ للأمر ،
فيشيرُ إليهنَّ الأميرُ إشارةً منع
- مجاهد : جراحُ الشُّجعان تغسلُها أيدي غلاظ ... الأكَفُ
الغضّةُ لم تخلق إلا للمداعبة !
- سهاد : هذه الأكَف الغضّة أيها الأميرُ كان لها كبيرُ فضلٍ
في تَنْجِيَةِ شُجْعان ، وهزيمةِ أبطال ... !
- مجاهد : (في زَهْوٍ وكِبْرِيَاء) : على أيّةِ حال لا تصلحُ هذه
الأيدي الناعمةُ لغَسْل جراحنا !
- زياد : قصدُ الأميرِ ... أن ...
- مجاهد : (مقاطعاً ، محتدّاً) : الأميرُ يعرف ما يقول .

— ٥٠ —

« فترة صمت

دهشة وارتباك

بعد لحظة، يستدرك الأمير (مجاهد) على نفسه

قوله : «

الخشونة والحِدَّة من طباعِ الرجلِ المحارب... »

إني آسف !

« مبتسماً »

يبدو أننا لا نصلحُ إلا لميدانِ الوَغَى ...

سهاد : عَفَوا عَفَوا... البطل بطلٌ في كلِّ ميدان ، ولا

سَيِّئاً إذا كان رسولَ الخليفة !

« تنتهز الفرصة لتغييرِ تجرَى الحديث ،

كيف حالُ مولانا الخليفةِ حفظه الله ؟

مجاهد : على أحسنِ حال .. يَهْدِي إلى الأميرة أزكى التَّحايا ،

ويقدِّرُ لها إخلاصها وولاءها .

سهاد : الخليفةُ سيدُنا ومولانا .. والإخلاص والولاءُ

- لا نشعر به فرضاً نحن مُكرّهون عليه ، وإنما هو
 في نفوسنا إحساسٌ عميق !
- مجاهد : مولانا الخليفة كان يُؤثّر أن تحلّى « بغداد »
 وتُقيمي بها . مكانك هناك !
- أميمة : (تُسرّ في أذنِ الأميرة « سُهاد ») : انتبهى لما
 يقول .. إنه يُمنّهُ سبيله للبوضوع الذي قدّم من
 أجله .. إياك أن يُفِلّت من لسانك شيء يسوء !
- سهاد : (غير مكرثة بكلام « أميمة » ، تقول له « مجاهد ») :
 لى الشرف أن أحلّ بلداً هو مقامُ الخليفة .
- أميمة (هامة) : هذا هو الكلام الكيس ... حسن
 ما تفوّقت به !
- سهاد : (غير معنيّة بـ « أميمة » تُتم حديثها له « مجاهد ») :
 بيد أن الوقت لم يحن بعد !
- « (أميمة) تظهرُ عليها علامةُ اشتياء »
- مجاهد : كيف لم يحنِ الوقت ؟

أميمة (متدخلة) : لماذا لم يحن ؟ « سهاد ، تغني أنها مشغولة الآن شيئاً ... إن هي إلا أيام !
 « الأمير (مجاهد) ينظر إلى (أميمة) متعجباً ، كأنه يسألها : من هي ؟
 تفطن (أميمة) إلى ذلك ، فتابع حديثها : « عفوك يا بُني ... لقد أقحمتُ نفسي بينكم ذون مسوغ ! .. ولكن لم لأقحمُ نفسي ؟ ألسنتُ أمها ؟
 مجاهد وزياد (متعجبين) : أمها ؟
 أميمة : أجل ، أمها . أغني مربيته .. لقد كفلتُها طفلة ترضع ، وسهرتُ على راحتِها حتى أيفعت ...
 كانت أعوياً مشاكسة ، ولطالما سببتُ لي كثيراً من المتاعب والمضايقات !
 « الأمير (مجاهد) و (زياد) يتسلمان ، ولكنها الآن تظهرُ رزينةً متعقّلة .
 « للأميرة (سهاد) : »

الحق أنه لا يصلح لك إلا الإقامة في «بغداد» ...

هنالك تأتيسين وثلاثين !

سهاد (لـ «أميمة» جانباً) : حسبك يا «أميمة» !

زياد : «بغداد» كلها ترحبُ بقدمها ! . .

أميمة : (لـ «زياد») : أمن «بغداد» أنت يا بُني ؟

زياد : لقد جئتُ في ركبِ الأمير . . .

«مشيراً إلى الأمير (مجاهد)»

أميمة : أخبرني بربك ألم ترَ هناك الأمير . .

«تفكرٌ في اسمه»

الأمير . . الأمير ابنَ الخليفة الأكبر . .

مجاهد : تعنين «المعتمد بالله» . .

أميمة : هو . . «المعتمد بالله» . . المحروسُ بعناية الله !

سهاد : (لـ «أميمة» جانباً) : جاوزتِ الحدَّ يا «أميمة» !

أميمة : (غيرَ مُهتمةٍ بـ «سهاد» موجهةً كلامها إلى «مجاهد») :

إنه شابٌ مِلَّ السَّمْع والبصر . . .

سهاد : (في حِدة ، لـ « أَمِيمة » جانباً) كنى ! لا تنفوهى
بكلمة ١ .

« (أَمِيمة) نغمغم ، وتقف خلفَ الأَميرة
(سهاد) توجهَ حديثها إلى (مجاهد) ، تريد أن تنقذ
الموقفَ »

والأَمير « المستعينُ بالله » كيف حاله ؟
مجاهد : لا بفتاً يرتادُ القِفَارَ طالِباً للصَيْدِ ... إنه أمهرُ صيادٍ
في دارِ الخلافة .

سهاد : والأَمير « المتوَكِّلُ على الله » ؟
مجاهد : عاكفُ أبدأ على التَّفَقُّهِ في الدين ودَرْسِ الشريعة ..
لقد صار حجةَ الإسلام ومَرَجعَ الفَتَوَى !

سهاد : و « الواقفُ بالله » ؟
« لا يكادُ (مجاهدٌ) يفتَحُ فيه لِيَجِيبَهَا حتى تبادِرَه
بقولها : »

و « المستكنُ بالله » ؟

« يريد (مجاهدٌ) أن يتكلم ، فتباغته بقولها : »

و «المنتصرُ بالله» ؟ ... و «المستنجد بالله» ؟ .

و «العارفُ بالله» ؟ ...

مجاهد : الأميرةُ تعرفُ أبناءَ الخليفةِ واحداً واحداً !

سهاد : أعرفُ الخمسةَ عشرَ ...

« (مجاهد) و (زياد) يضحكان »

زياد (لـ «مجاهد») : ألا ترى أن نستأذن لنبدلَ

ملابسنا هذه ؟ لا يليقُ بنا أن نبقى ها أمامَ الأميرةِ !

مجاهد : أوافقُ أنتَ أن لصوصَ «بنى يربوع» و «بنى حيان»

تركوا لكَ ملبساً ؟ !

سهاد : الثيابُ كثيرةٌ ... مُروا تجدوا ...

مجاهد : أوثرُ أن أحتفظَ بثيابي السودِ التي أرتديها ...

سهاد : يبدو أن الأميرَ يُفضلُ السوادَ على سائرِ الألوانِ ..

مجاهد : اخترتهُ رمزَ أحيائي .. إنه حِدادٌ على شيءٍ فقدتهُ ،

و لن أخلعَ السوادَ حتى أجدهُ !

— ٥٦ —

« يدخلُ (أقميش) و (قرطيش) في دُغر
وهياج ،

أقميس وقرطيش : « سيفُ الدين الخراساني » ، قائم .. سيف
الدين الخراساني « قديم !

مجاهد : سيف الدين الخراساني ، ؟
أقميش وقرطيش (في صوت واحد) : ومعه جمعُ غفير من الجند ..
يا ساترُ استرُ ! .. يا ساترُ استرُ ! ...

مهاد : (لـ « مرجان ») : اخرج فانظرُ ماذا يريدُ « سيفُ
الدين » ؟ ...

مرجان : أمرُ مولاتي ...
« يخرج »

مجاهد : (لـ « سهاد » ، وقد استلَّ سيفه محتدًا) : مادمتُ في
حماية الأميرِ الأسود ، فلن يستطيعَ أحدٌ أن ينالكِ
بسوء ..

سهاد : أشكرُ لكِ أيها الأمير .. ولكن لا تنسَ أنكم

أتم الذين في حمايتي ١

أقميش : (لـ « قرطيش ») : أهذا هو الأمير الأسود ؟
 قرطيش : (بحدق في « مجاهد ») : أهذا هو الأمير الأسود ؟
 « يجتهد كل منهما أن يتوارى خلف صاحبه ،
 فيتهى بهما الأمر إلى أن يتساقطا ، فيصرخا
 جزعا ، ظانين أن أحدا أسقطهما ، يريد بهما
 سوءا »

مجاهد : (صائحا ، في عuf) : ما هذا الصراخ ؟
 أقميش : (متباكيا) لم أفعل شيئا والله العظيم !
 قرطيش : (متباكيا أيضا) ولا أنا والله العظيم !
 « سهاد : اخرجا .. »

« يخرج « أقميش » و « قرطيش » يتعثران ،
 مجاهد : إن الأمير « سيف الدين » نائر على الخليفة ...
 لا بد أن نكف أذاه !
 سهاد : لم يظهر الأمير « سيف الدين » ، إلا الطاعة

للخليفة .

مجاهد : يبدو أن الأميرة تُحسِنُ به الظنَّ ... وإن التماذى في
إحسانِ الظنِّ لا تُؤْمَنُ معه العُقبى .. نصيحتى إلى
الأميرة ألا تُبلِّغْ له جانبها !

سهاد : الكَيْسُ هو من يستطيعُ أن يَسْتَعْمَلَ اللينَ في
موضعيهِ والشدةَ في موضعيها .

مجاهد : على أية حالٍ أضعُ سيفي وسيوفَ رجالى رهاثنَ
إشارتكِ !

سهاد : شكرا لكِ أيها الأمير .

« يدخل (مرجان) »

مرجان : الأمير « سيف الدين » : يلتبس المثل بين يدي
الأميرة .

سهاد : فليَدْخُلْ .

(مرجان) يخرج ، ثم يعودُ مع الأميرِ

(سيفِ الدين) . .

— ٥٩ —

يتقدم الأمير القادم من الأميرة . ويحييها في
أدب وإجلال ،

سيف الدين : السلام على الأميرة « سهاد »

سهاد : عليك السلام أيها الأمير

« (سيف الدين) يقف بصره على (مجاهد)
و (زياد) ،

سيف الدين (لـ « مجاهد » و « زياد ») : السلام على الأميرين .
مجاهد (في تحدي ظاهر) على المخاضين من رجال الخليفة
السلام .

سيف الدين (في دهشة) : كلنا رجال الخليفة المخلصون ! ...
مجاهد (في سُخرية بادية) حقاً .. رجال الخليفة
المخلصون !

سيف الدين : ماذا تقصد أن تقول ؟

مجاهد : أقصد أن أقول إن النفاق خصلة لا تليق
بالشجعان !

- ٦٠ -

سهاد (لـ « مجاهد » : أيها الأمير ..

سيف الدين (لـ « مجاهد » محتدًا) : والمنافقُ من هو ؟

مجاهد : : المنافقُ هو الذي يَحْوِكُ الدسائسَ ويدبرُ المكائِدَ
للخليفة في جَنِّحِ الظلام ، ثم يصيِّحُ متباهياً بأنه من
رجالِ الخليفةِ الخُلصاءِ !

زياد : (لـ « مجاهد » ، متدخلاً) : مولاي !

سيف الدين (وقد جَرَّدَ سيفه) سيفي هو الذي سيَتَوَلَّى الرِّدَّ
عليك !

مجاهد : مَرَحَبًا بسيفك ... لم يَثْبُتْ بعد سيفُ أُمَامَ
سيفِ (مجاهد بن الأصفر) !

سيف الدين (وقد بُوِغِتَ) : الأمير الأسود ؟

مجاهد : هو عَيْنُهُ !

سهاد : (وقد تدخّلت بينهما) هذا هو الأمير (مجاهد)
وقد بَعَثَهُ الخليفةُ حَفِظَهُ اللهُ إلى في مُهِمَّةٍ ...

سيف الدين : ما كان بُوْدِي أن أقفَ هذا الموقفَ من الأمير

« مجاهد » .. ولكن مادام قد اضطررت إلى ذلك .
 فسأريه أنه ليس القائد الذي يَكْسِبُ
 المعارك وَيَصْرَعُ الأبطال !
 « يتقدم من الأمير (مجاهد) شاهراً سيفه ..
 يوشك أن يلتحِمَ الحصان ، ولكن الأميرة
 تدخل بينهما .. »

سهاد : لا تنسيّا أنكم في قصرى ، أيها الأميران ، وأنكما
 ضيفان على !

« يترك كلٌّ من « مجاهد » و « سيف الدين »
 سيفه ، ويكفّان عن النزاع ،

سهاد : (تحاطبُ « مجاهداً ») : المسألة سوء تفاهم
 لا أكثر .. وأنا أبغي أن أفضّه !

مجاهد : « سيف الدين » مُشْتَمٌّ بأثارة فتنة على الخليفة .

سهاد : (فى ثباتٍ وعزم) : وإذا أكّدت لك أن هذه
 التهمة باطلة ، فهل تثقُ بقولى ؟

- مجاهد : ربما كانت الأميرة ...
- سهاد : (مقاطعة) أَتَتَّقُ بقولى أم لا أَتَّقُ ؟
- مجاهد : قولك أهلٌ للثقة ... ولكن ..
- سهاد : دَعْ لكن ... لقد بَعَثْتُ إلى الخليفة رسلاً منذ مدة يحملون إليه براهين قاطعة على نزاهة « سيف الدين » وبرائته من وشايات خصومه ..
- ويظهر أن الرُّسُلَ لم يصلوا إلى دار الخلافة قبل مغادرتك إيَّاهَا ، وإلا لَغَيَّرْتَ رأيك فيه !
- مجاهد : (وهو يتلاعبُ بسيفه) : ربما كان هذا !
- سيف الدين (لـ « سهاد ») : الأمير « مجاهد » غَيْرُ مُقْتَنِعٍ !
- مجاهد (لـ « سيف الدين ») : أنا مُقْتَنِعٌ مادام اقتناعي يَقَعُ من الأميرةِ موقعَ الرِّضا !
- سيف الدين (وقد احتدَّ) : إذا غادر الأميرُ معي قصرَ الأميرة ، تَسَى لى أن أكاشِفَه بالبرهان الدامغ !
- « يَهْزُ سيفه »

- مجاهد : (لـ « سيف الدين ») : أنا على أتم أهبة !
 بهاد (في تأمر وعيننة) : ولستكني لا أسمع لك أبشي
 من هذا .. وأنا زعيمة برد كما إذا خالفنا أمرى !
 زياد : ليس على الأميرة إلا الأمر ، وليس لنا إلا الطاعة ؟
 سهاد : أشكر لك يا « زياد »
 « تقول لـ (مجاهد) و (سيف الدين) :

تصالحا !

- « (سيف الدين) يتقدم
 (مجاهد) يحجم .
 تقول الأميرة لـ (مجاهد) في لحظة الأمر ، :

صافح « سيف الدين » !

- « (زياد) يدفع (مجاهد) نحو (سيف الدين) ..
 (مجاهد) يصافحه بعد تردد ،

- مجاهد : رغبة الأميرة على العين والرأس .. ! للأمير
 (سيف الدين) أن يختال زهوا باهتمام الأميرة به

سيف الدين: إني بذلك جدُّ فخور ولتثق الأميرة أن اهتمامي
بها لا يقلُّ عن اهتمامي بي . ولعل هذه فرصةٌ
ساححةٌ أشرحُ فيها للأميرة الغرضَ من زيارتي ..
سهاد : تكلمْ أيُّها الأمير ...

سيف الدين (بعد صمتٍ قليل ، وهو يداعِبُ حائلَ سيفه) :
قَدِمْتُ لَأَسْتَأْنِفَ حَدِيثِي مَعَكَ فِي الْمَوْضُوعِ
الَّذِي فَاتَحْتُكَ فِيهِ مِنْذَ أَشْهُرٍ .

سهاد : (بعد سُهُومٍ) : أوه .. ذكرتُ المَوْضُوعَ !
مجاهد : إذا لم يكنْ بَقَائِي بَيْنَكُمَا مَرْغُوبًا فِيهِ ، فَأَنْى أَنْصَرِفَ
لَأَوْسِعَ لِكُمَا مَجَالَ الْمُصَارَحَةِ !

أُمَيِّمَةُ (وقد ظَهَرَتْ ثَانِيَةً) : كَلَّا يَا بُنَى .. يَسْتَطِيعَانِ
أَنْ يَتَصَارَحَا أَمَامَكَ ... إِنَّهَا مَسْأَلَةٌ هَيِّنَةٌ ...

« لـ (سيف الدين) »

أليست هي مسألةٌ تَقْدُمُكَ لِحِطَّةِ الأميرةِ
« سهاد » ؟

- مجاهد : (مخمغا) : خِطْبَتُهُ لِلأَمِيرَةِ « سَهَاد » ؟ ١٩
- سهاد : (لـ « أَمِيمة ») : لَا تُقْحِمِي تَقْسَكَ فِي هَذَا
يا « أَمِيمة » !
- أَمِيمة : : كَيْفَ لَا أُقْحِمُ نَفْسِي ؟ مَهْمَا تَقُولِي ، فَأَنِّي
بِمَصْلَحَتِكَ أَذْرَى ..
- سهاد : (متَأَفِّفَةٌ) : أَوْه ١١
- سيف الدين (لـ « أَمِيمة ») : وَفِيمَ تَكُونُ مَصْلَحَتُهَا ؟
- أَمِيمة : : الْحَقُّ يَا بُنَىَّ أَنَّ « سَهَاد » ... « سَهَاد » مَا بَرِحَتْ
صَغِيرَةً ... زَوَّجَهَا لَا يَسْتَلْزِمُ الْعَجَلَةَ !
- « (مجاهد) يضحك ،
- سيف الدين (لـ « سَهَاد ») : الأَمِيرَةُ طَبْعًا لَا تُقَرُّ مَا تَقُولُهُ
« أَمِيمة »
- سهاد : « أَمِيمة » ، لَمْ تُحْسِنِ التَّعْبِيرَ هُمَا تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ !
- سيف الدين وَرَأَيْكَ أَنْتِ ؟
- سهاد : : فِيمَ رَأَيْ ؟ الْمَوْضُوعُ لَيْسَ بِالْمُشْكِلَةِ الْعَوِيصَةِ !

— ٦٦ —

يَدَ أَنْ السَّكَّامَ سَابِقُ لَأَوَانِهِ .

« تَقْتَرِبُ مِنْهُ وَتَشُدُّ عَلَى يَدِهِ ،

لَقَدْ فَهَمْتَ مَا أَعْنِي !

سيف الدين (في استسلام) : لا بأس ... إني غَيْرُ مَجْزُولٍ ..

وفي الصَّبْرِ مُتَّسِعٌ !

سهاد : أَوْدُ أَنْ تَكُونَ الْعِلَاقَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عِلَاقَةٌ وَدٌّ

خالص .

سيف الدين (وقد طَأْطَأَ رَأْسَهُ) : وإن تجدى خيراً مني

صديقاً أميناً الوُدُّ ، صادق العهد !

سهاد : شكراً لك !

مجاهد : (مداعباً ، لـ « سيف الدين ») : كان الظنُّ أن

الأميرَ زاحفٌ لحربٍ وقتالٍ فأذا به وَاقِفٌ !

يَخْطُبُ وَدُّ رَبَّاتِ الْحِجَالِ !

سيف الدين : وأيضاً قَدِمْتُ لِأُحَارِبَ . . وهل كانت تستلزمُ

الخطَّةَ جُنْدًا أَصْطَحَبَهُمْ فِي مَقْدَمِي ؟

— ٦٧ —

سهاد : من تُبغِي أن تحاربَ ؟
سيف الدين : لى تَأْرُ عند عشيرة « بنى حيان » ... وَخَتْمُ أن
أخذ بئارى !

مجاهد : لقد سبقتنا !
سيف الدين : سبقتموني ؟ ماذا تعنى ؟
زياد : هَجَم علينا « بنو حيان » فى طريقنا إلى الاميرة ،
فَرَدَدْنَا هَجَمَتَهُمْ ، وَأَعْمَلْنَا فِيهِمُ السَّيْفَ .

مجاهد : (لـ « سيف الدين ») لن تجدَ عندهم الآن قوة
يقاومونك بها !

سيف الدين : على أية حال لا بدَّ أن أمرَّ بهم ، لأفادِهم فى
شأن الرهائن .

سهاد : تستطيعُ أن تُعَوِّلَ على هذا الشأن .
سيف الدين : أُوْرُّ أن تدعِ لى الاميرةُ فضَّ هذه المشكلةِ
الصغيرةِ بنفسى .

سهاد : كما ترى !

سيف الدين: الآن وقد انتهت مهمتي عند الأميرة أرجو أن
تأذن لي في الانصراف .

سهاد : كيف تنصرف ، ولم تؤدِّ لك بعد واجب
الضيافة ؟

سيف الدين : حسبي منك حسن الاستقبال ، ولطف المواجهة
سهاد : . ولكن كيف تمضي ، والليل قد ضرب رواقه ؟

سيف الدين : لقد ألفت السرى ... ما أطيّب الليل !

سهاد (في نشوة) : حقاً ما أطيّب الليل .. سكوبه

الوديع ... سره الساحر .. غموضه الجذاب

أحلامه العذاب !

سيف الدين : يبدو أن الأميرة تعرف ليل روعته .

سهاد : إن بيني وبين الليل وشائج موصولة .

مجاهد : تلك نظرة الشعراء إلى الليل .

سهاد : أليست نظرة صائبة ؟

مجاهد : رأي أن الشعراء كثيرأما يقلبون حقائق الحياة !

مهاد : الشعراء لا يَقبلُونَ حقائق الحياة، وإنما يسبغون
عليها من خيالهم الفياضِ جمالاً وفتنةً، ينفخون
فيها من رُوحهم الصافية، يلوّثونها بالألوان
الزاهية الجذابة .. يكشفون عن أسرارها اللطاف !
مجاهد : حقائق الحياة يجب أن تظلّ على حالها، حتى لا
تُغرّبها .. ويا طالما لحق الناسَ شرٌّ كثير، من
جرّاء هذا الخيالِ الفياض، وتلك الروجِ
الصافية .. أعذّرني فيما أقول .. إني قائدٌ
لا أحسنُ تقدير هذه الكنوز !

سيف الدين: وكيف لا يقدرُ القائدُ روعَ الشعراء؟
مجاهد : القائدُ رجلٌ كَرِهَ وفرّ، أما الشاعرُ فهو صَفَى
أحلام وأوهام .. وإني لم أخلقُ لكنّي أنامُ وأحلمُ !
سيف الدين: المرء لا بدّ له في الحياة من سَوِيَعَات ينامُ فيها ويَتَحَلَّمُ
أميمة : أئمةٌ أحدٌ يستغني عن راحة المنام، وحلاوة
الأحلام ؟

— ٧٠ —

«تثاءب في شكلٍ بَشِع»

سهاد (تنادي) : «مرجان»

مرجان : مولاتي ..

سهاد : علينا بالطعام ... أسرع !

مرجان : أمرٌ مولاتي ...

«يخرج»

سيف الدين : تأذن لي الأميرة أن أنصرف ؟

سهاد : لا تنصرف حتى تشركننا في العشاء.

سيف الدين : أنا لأمرِك مُطيع .. كان في حسباتي أن أغادر

دارك وقد تحقّق لي الأمل ، ولكن لا بأس ..

«يتنهد»

ربما .

سهاد : ستُحقّق أملك ، ولكن في ميدانٍ آخر ..

سيف الدين : أيّ ميدانٍ تقصّدين؟

سهاد : ميدان «بغداد» .. هناك في قصر الخليفة !

- ٧١ -

مجاهد : (دهشاً) : في قصر الخليفة ١٩
سهاد : سأخطبُ له الأميرة ، نُضَارَ ، بنت الخليفة ..
سيف الدين الأميرة «نُضَارَ» ؟
مجاهد : الأميرة «نُضَارَ» ؟
«يدخلُ (مرجان) وخلفهُ الخدمُ يحملون
الصواني عليها صحافُ الطعام ،
سهاد : أقبِلوا ..
«يلتفتون حولَ المائدة ، ويبدؤونَ الأكل ...
تأخذُ فرقةُ الإنشاد في تحية الضيوف
وليناسيهم ..
(ستار)

الفصل الثالث

« المنظر السابق . . .

الحاضرون جلُّوسٌ إلى المائدة ،

وهم على وشكِ الانتهاء من الطعام

(سهادُ) ليست بينهم . . . »

زياد : (لمجاهد) : شأنُ الأميرة يبعثُ على العَجَب .

ذهبت لتتَّسَمَّعَ إلى البُلْبُلِ ساعةً في الحديقة . . .

مجاهد : (ضاحكا) : تتَّسَمَّعُ (ر) البُلْبُلُ ؟ حقًّا شأنُها

عجيب !

سيف الدين (وقد لَمَحَ الأميرةَ قادمةً) : تلك هي . .

سهاد : لا تأخذْ أعلى غَيْبَتِي . لقد لِفْتُ أن أخصَّ البُلْبُلَ

بساعةٍ كلَّ ليلةٍ أفضيها معه . . .

« يتضاحك (مجاهد) في صوتٍ هادئ... »
 إنكم رجالُ حربٍ وضربٍ . فما أهونَ شأنِ
 البلبَلِ عليكم ! ... نستأنفُ الحديثَ في
 موضوعنا .. موضوعِ الأميرةِ « نُضارَ » ...
 « لـ (سيف الدين) : » :

سأشخصُ بنفسى لأخطبُها لك ..

سيف الدين (مجاريا) : وهل يَقْبَلُنِي الخليفةُ زَوْجاً لابنتِهِ ؟
 سهاد : مولانا الخليفةُ حاكمٌ ثاقِبُ النظرِ ، وأنتَ فارسٌ
 عظيمٌ ، وإن لك لمستقبلاً مَرَجُو الخَيْرِ ..

زياد : نأملُ ألا يكونَ نَمَةً ...

سهاد : ماذا يكونُ ؟

زياد : يقولونَ إن الأميرَ «سيف الدين» متخلفُ الحظ

مع من يخطبُهُنَّ من النساءِ !

سيف الدين : ما معنى هذا الكلام ؟

مجاهد : (متدخلاً ، يتضاحك) : « زياد ، يمتازُ حُك !

زياد : (يسِرُ في أُذُنِ «مجاهد») : أمتدَّكر أيها الأمير

ماقاله لنا الدليلُ في شأنِ الحُرِّ التي تَشْمَرُغُ في

التراب تاركةَ المَرْجَ القِيَّاحَ ؛

« يتضا حكان في خُفْيَةٍ ،

سيف الدين (لـ «سهاد») : أرى أن مصاهرةَ الخليفة لا يطمَعُ

فيها مثلي من لا يُؤَبِّهُ له في دار الخلافة !

مجاهد (لـ «سيف الدين») . فلتَكُنْ صرِيحاً ، ولتقلْ

إن قلبك ليس بالخالي !

سهاد (تغَيَّرُ سبيلَ الحديث ، تنادى) . «مرجان» ..

مرجان . مولاتي !

سهاد . ادعُ لنا «أقيش» ، و«قرطيش» ، تتفكَّه بمرآهما

وقتما ..

مرجان . أمرُ مولاتي .

(يخرج)

سهاد . «أقيش» ، و«قرطيش» ، يَحْذِقَانِ الرقص والغناء ..

والطبل والزمر، وضروباً آخر مما يسر ويسلى .
 (مرجان) يدخل . . يدفع كلاً من (أقيش)
 و (قرطيش) من قفاه

أميمة (لـ « أقيش ، و « قرطيش ») : تعاليا . تعاليا . .
 غنياً وارقصا أمام السادة الكرام . . أظهرنا
 حذقكمما وخفتكمما وملاحتكمما . . هيا ، هيا !
 أقيش وقرطيش (ينظران إلى « مجاهد » نظرة خوف ،
 ويقولان معاً) : ولكن الأمير الأسود !
 أميمة : إن لم تجيدا الرقص ، فسيكون لحكما من نصيبى .
 والحاضرون يضحكون . .

(أقيش) و (قرطيش) فرعان ، ولا يلبثان أن
 يتقدما في خطوات حذيرة ، وينحنيا أمام
 « مجاهد » ، في شكل مؤثر للضحك . ثم يقفزا
 قفزات تهرج ، ويبدءا الرقص ، تساعداهما
 فرقة الإنشاد . . .

بعد الرقص والغناء ، ينصرفُ الخَدَمُ تبعاً
بالصَّوَانِي ..

يَبْقَى فِي الرَّذْهَةِ (سَهَادُ) وَ (مَجَاهِدُ) وَ (زِيَادُ)
وَ (سَيْفُ الدِّينِ) وَ (مَرْجَانُ) ..

سَيْفُ الدِّينِ (لـ سَهَادُ) إِنِّي لِيُعْزِيذُنِي أَنْ أُتْرَجِمَ عَنْ
صَادِقِ شُكْرِي لِلْأَمِيرَةِ . حَقًّا إِنَّكَ لَأَمِيرَةٌ فِي كُلِّ
شَيْءٍ .

سَهَادُ : الْأَمِيرُ «سَيْفُ الدِّينِ» أَمِيرُ «خِرَاسَانَ» يَسْتَحِقُّ
مِنَ التَّكْرِيمِ أَجْلًا مِمَّا قَتَلَ بِهِ !
سَيْفُ الدِّينِ: تَأْذَنُ لِي الْأَمِيرَةُ فِي الْإِنْصِرَافِ ؟
سَهَادُ : عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ !

مَجَاهِدُ : نَرْجُو لَكَ التَّوْفِيقَ فِي مُهِمَّتِكَ عِنْدَ «بَنِي حَيَّانَ»
وَلَا تَنْسَ أَنْ تُبَلِّغَنَا أَخْبَارَهُمْ .
سَيْفُ الدِّينِ: سَتَحِيلُ إِلَيْكَ أَخْبَارَهُمْ وَشَيْكَ !
مَجَاهِدُ : إِذَا كُنْتَ رَاغِبًا فِي أَنْ أُعِينَكَ ، فَهَآنَذَا ...

سيف الدين : لا غَنَاءَ عن عَوْنِ الأمير « مجاهد » .. هل تقبل
متفضلاً أن تحملَ رسالةً مني إلى مولانا الخليفة ؟

مجاهد : أيةُ رسالة ؟

سيف الدين : تبليغُ الخليفةِ قُرْبَ قدومي « بغداد » .

مجاهد : (متضحكا) : آه .. من أجلِ موضوعِ الأميرة .
« نُضَار » ؟ سأُهدُّ لك الطريق !

سيف الدين : (في خبث) : ليس هذا مقصدي من القدوم ، إنما
أبغى رياسةَ الجيش ، فإن كان في نيتك أن تُعينني ،
فلتُهدِّ لي الطريقَ إلى تلك الرياسةِ !
« (مجاهد) و (زياد) مدهوشان »

سهاد : رياسةُ الجيش ؟ !

سيف الدين : يجدرُ بالخليفة أن يمتحنَ قُوَّاده المتسيِّين ،
ويمكنهم من التدليل على أنهم ليسوا أضعفَ بأساً
وأقلَّ بلاءً ممن اشتَهروا عنده ..

« يُبحي (مجاهداً) تحيةً سريعة . ويَهْمُ بالخروج . »

سهاد : (لـ مجاهد) : عَفْوَكْ أَيُّهَا الْإِمِيرُ .. سَأَنْصَرِفُ
لِتَوْدِيعِ الْإِمِيرِ « سَيْفُ الدِّينِ » حَتَّى بَابِ الْقَصْرِ
« (مجاهد) يَنْحُو لِلْإِمِيرَةِ »

سيف الدين : (لـ سهاد) : كَبِيرُ أَنْ تَخْرُجَ الْإِمِيرَةُ مَعِيَ إِلَى
الْبَابِ .. حَسْبِي مَنْ تَأَطَّفَهَا مَا لَقِيتُ !
« (سهاد) تَأْخُذُ يَدِي (سيف الدين) وَتَخْرُجُ
مَعَهُ .

(مرجان) يَسِيرُ خَلْفَهُمَا
(مجاهد) و (زياد) وَحَدَّهُمَا فِي الرِّدْهَةِ .

زياد : لَمْ تُحْسِنِ لِقَاءَ « سَيْفِ الدِّينِ » !
مجاهد : إِنَّهُ مُنَافِقٌ .
زياد : أَلَا يَجُوزُ أَنْ تَسْكُونَ مَسْرِفًا فِي اتِّهَامِكِ لِيَّاه ؟
مجاهد : إِنِّي صَادِقُ الْفِرَاسَةِ .. ظَنَى لَا يُخْطِئُ !
زياد : الظَّاهِرُ لِي أَنَّهُ رَجُلٌ صَرِيحٌ .. وَرَبَّمَا كَانَ عَيْنُهُ
هَذِهِ الصَّرَاحَةُ !

مجاهد : وَعَيْبُكَ أَنْتَ أَنْكَ سَلِمُ النِّيَّةِ ، سَرَّعَانَ مَا تَخْدَعُكَ
الظَّوَاهِرُ !

زياد : كَانَ حَدِيثُ «سَيْفِ الدِّينِ» ، مَعَ الْأَمِيرَةِ فِي شَأْنِ
زَوَاجِهِمَا حَدِيثًا لَا لَبْسَ فِيهِ وَلَا إِبْتِهَامَ . كُشِفَ
لَنَا عَنْ دَخِيلَتِهِ ، لَمْ يُخْفَ شَيْئًا !

مجاهد : أَحْسَبُكَ اعْتَمَدْتَ أَنَّهُ يَحِبُّ الْأَمِيرَةَ .

زياد : وَلَمْ لَا ؟

مجاهد : «بِضَاحِكَ» ، وَمَعَ هَذَا لَا تَوَافِقُنِي عَلَى أَنَّكَ سَلِمُ النِّيَّةِ
اسْتَمِعْ لِمَا أَقُولُ . . . إِنْ ادَّعَاهُ حُبُّ الْأَمِيرَةِ وَرَغْبَتُهُ
فِي الزَّوَاجِ بِهَا خُطَّةٌ مِنْ خُطَطِهَا خَبِيثَةٍ ، وَقَدْ
رَسَمَ هَذِهِ الْخُطَّةَ لِيُحْكِمَ بِهَا مَوَازِنَهُ عَلَى الْخَلِيفَةِ !
زياد : مَغَالَاةٌ فِي التَّخْمِينِ .

مجاهد : أَنْتَ يَا زِيَادُ ، رَجُلٌ لَا تُحْسِنُ فَهْمَ النَّاسِ !

زياد : أَوَافَقُكَ عَلَى مَا تَقُولُ . . فَأَنْتَ ، حَتَّى السَّاعَةِ ، لَمْ
يَتَسَنَّ لِي أَنْ أَفْهَمَكَ حَقَّ الْفَهْمِ !

مجاهد : « ضاحكاً : وماذا تريد أن تفهم أكثر مما فهمت ؟ »

زياد : « وهل فهمت شيئاً ؟ حسبي منك أني صحتك في هذه

السفرة الشاقة ، وأنا لا أعرف لها غرضاً .. »

مجاهد : « يرتب كتفه ، مداعباً) : ألم تعرف بعد المهمة

التي من أجلها كان قدومنا ؟ »

زياد : « قصاري ما أعلمه أنها مهمة كلك الخليفة إياها .. »

مجاهد : « وماذا تبغي أن تعرف فوق ذلك ؟ »

زياد : « منأي أن أكون موضعاً أسرك ! »

مجاهد : « (يقهقه) : ألا تترك فضولك ؟ »

« في جد » :

« لا تتعجل .. سينجلي لك كل شيء بعد لحظة ، »

وربما ظلمت على جهالتك ! »

زياد : « ما مغزى هذا الكلام ؟ »

مجاهد : « مغزاه أني إذا وفقت في مهمتي أطلعتك ، فأما

إذا أخفقت فـ .. »

— ٨١ —

« يَسْمَعُ وَقَعُ أَقْدَامِ »

صَمْنًا . . الأَمِيرَةُ مُقْبِلَةٌ .

« تَدْخُلُ (سَهَادُ) وَوَرَاءَهَا (مَرْجَانُ) . . »

مَجَاهِدُ . (لَدَى سَهَادِ) أَمَعِزْمُ « سَيْفُ الدِّينِ » أَنْ يَهْجُمَ

عَلَى « بَنِي حَيَّانِ »

سَهَادُ : عَلَيَّ أَنَّهُ سَيُفَاجِئُهُمُ اللَّيْلَةَ .

مَجَاهِدُ : الْحَقُّ أَنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ تِلْكَ الْعَشِيرَةَ . . لَمْ يُخَاقِ

« سَيْفُ الدِّينِ » ، لِمِثْلِ هَذِهِ الْمِيَادِينِ . . لِأَنَّهُ بَطْلٌ

مُحَافِلٌ هُمُّهُ أَنْ يَتَأَنَّقَ فِي الْمَلْبَسِ ، وَيَتَخَيَّرَ الطَّيِّبَ ،

وَيُحْسِنَ الزُّيْنِ ، وَيَجْلِسَ لِلشُّعْرَاءِ يَسْتَنْشِدُهُمْ .

وَيَسْبَحُ فِي آفَاقِ الْأَحْلَامِ . . !

« يَلْتَفِتُ إِلَى (زِيَادِ)

يَطْمَحُ إِلَى رِئَاسَةِ الْجَيْشِ !

« (زِيَادُ) وَ (مَجَاهِدُ) يَتَضَاحَكَانِ »

زِيَادُ : الظَّاهِرُ أَنْ لَهُ أَطْمَاعًا بَعِيدَةً .

سهاد : لكل امرئ آمالٌ يَشُدُّها ، وأهدافٌ يَتَطَلَّعُ إليها

مجاهد : الأميرةُ لا تَفْتَنُ تُدَافِعُ عن سيف الدين .

سهاد : أَدَافِعُ عن الحقِّ الذي أَعْتَقِدُهُ

مجاهد : ماذا أنتِ صانعةٌ في شأنِ الأميرةِ « نَضَارَ » ؟

سهاد : سَأَسْعَى في خِطَابَتِهَا له .

زياد : رأي أن الخليفةَ لا يَرْضَى به زوجاً لا يَنْتَه .

مجاهد (له « زياد ») . الأميرةُ لا يَفُوتُهَا ذلك .. وأما

تَأْمِيلُهَا له « سيف الدين » فما أَظُنُّهُ إِلَّا مَجَامِلَةً ..

وكَسْبًا للوقتِ أيضا !

سهاد : أى كَسْبٍ للوقتِ تَعْنِي ؟

مجاهد : ألا يجوزُ أن تُغَيِّرِي رأيكِ فيما عَرَضَهُ عليكِ من

شأنِ الزَّوْاجِ بكِ ؟

سهاد (في جِدِّ وَرَزَانَةٍ) : أنا صريحةٌ فيما أَقُولُ ...

والكلام الذي واجهتُ به « سيف الدين »

لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ !

- زياد : (يريدُ أن يغيّر الحديث ، فيقول للأميرة) ، لعلّ الوقت حان لتستأذن في الإنصراف .
- مجاهد (له سهاد) : أريدُ أن أفضى إلى الأميرة ، على حِدّة . بكلمتين .. إذا لم يكن في ذلك إثمٌ عليها ..
- سهاد : لا مانعَ عندي .
- « (سهادُ) تشير إلى (مَرَجَان) .
- (مجاهدٌ) يشير إلى (زياد) .. فينصرفان .
- في الرّدهة (مجاهد) و (سهادُ) وحدهما . »
- مجاهد : اسمحني لي أن أوجّه إليك سؤالاً ..
- سهاد : سل ما بدا لك ..
- مجاهد : إنه سؤالٌ لا يتخلو من فضول !
- سهاد : لا بأس .. قل .
- مجاهد : لماذا أبيت أن تزوجي « سيف الدين » مع أنه ، فيما ترين ، أهلٌ للتقدير ؟

- سهاد : أَوَيْهْمُكَ حَقًّا أَنْ تَعْرِفَ لِمَاذَا أُبَيِّتُ ؟
- مجاهد : (متظاهراً بقلّة المبالاة) : كلا ، لا يَهْمُنِي ، ولكنّ الأمرَ حبُّ استطلاع لا أكثر !
- سهاد : لقد سمعتَ ما قلته له ..
- مجاهد : أجل ، سمعته !
- سهاد : ألا تستطيعُ أن تفهمَ مما سمعتَ لماذا أُبَيِّتُهُ ؟
- مجاهد (مبتسماً) : يظنُّ أن ذكائي لا يبلغُ هذا المدى !
- سهاد : عَفْوًا .. اسْمَعْ أَيُّهَا الأمير ... العلاقةُ بيني وبين « سيف الدين » ، علاقتهُ وُدٍّ وإخاء . ولنْ تَعْدُوَ هذا ... !
- مجاهد : قد يكونُ ذلك !
- سهاد : شعوري الذي أَكِنُّهُ له لا يُمْكِنُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى نَحْضِ الْوُدِّ .
- مجاهد : أمتاً كدةً أَنْتِ أَنْ هَذَا شعوركِ ؟ .
- سهاد : لا يعرفُ قلبي أحدٌ غيري .

مجاهد (في تمهل) : أولا يشمر قلبك لشخصٍ ما بشيءٍ آخر غير شعور الود ؟

سهاد : (مبتسمة) : سؤالك لا يخلو من فضول !

مجاهد : ألم أقل لك هذا من قبل ؟

سهاد (مبتسمة أيضاً) : أنا لا أكشف عن قلبٍ لأحد .

مجاهد : وهذا هو السبب الذي يجعل الناس يتشوقون

دائماً إلى كشف ما تُسرّين .. حياتك التي تعيشينها

حياة غريبة .. كلُّها ألغاز !

سهاد : كيف ذلك ؟

مجاهد : لكلٍّ اسرٍ أن يحيا على النحو الذي يريد ، يُخفي

ما يشاء ، ويُدبِع ما يشاء ... وإني في طليعة من

يَعْرِفُ قِيَمَةَ الأسرار ، وحقّ الإنسان في

الاحتفاظِ بها والعملِ على كتمانها ... وكولا

أن الأمر الذي سأفاتيحك فيه له بعضُ الاتصال

بالسؤال الذي سألتك إياه ، لما حاولت أن

- ٨٦ -

أُخْرِجَكَ عَنْ صَمْتِكَ هَذَا ..

سهاد : وما هي تلك المسألة ؟ ...

مجاهد : إِنْ تَقَدَّمَ لَكَ شَخْصٌ لَهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مَقَامٌ كَرِيمٌ .

فَطَلَبَكَ لَهُ زَوْجًا ، هَلْ تَقْبَلِينَ ؟

سهاد : مَنْ هُوَ ذَلِكَ الشَّخْصُ ؟

مجاهد : شَخْصٌ يُسَرُّ الْخَلِيفَةَ أَنْ يَقْدِمَهُ لَكَ .

سهاد (بعد لحظة تفكير) : « الْمُعْتَمِدُ بِاللَّهِ » ؟

« (مجاهد) يَصْنُمْتُ ، وَيُحَدِّقُ فِيهَا .

(سهاد) تُتَابِعُ قَوْلَهَا : ،

تلك إشاعة جابت البقاع ، وملأت الأسماع .

مجاهد (وقد عَقَدَ يَدَيْهِ عَلَى صَدْرِهِ) . وما رأيك في .

« المعتمد بالله » ؟

سهاد : أَتَمْنُ جَوْهَرَةٌ فِي بَيْتِ الْخِلَافَةِ ... كُلُّ قُبَاةٍ تَسْمَنَامُ

زوجاً . . .

مجاهد : لِذَنْ يُجْوزُ لِي أَنْ أَفْهَمَ مِنْ قَوْلِكَ هَذَا أَنَّكَ . . .

سهاد (مبتسمة في غموض ، تُفَاطِعُهُ) : تعال تَنفَرِّجْ
بِمَنْظَرِ الصَّجَرَاءِ فِي سَكِينَةِ اللَّيْلِ . .
« تَأْخُذُ يَدَهُ ، وَتَسِيرُ بِهِ إِلَى الشَّرْفَةِ ، وَالْأَمِيرِ
مَتَعَجِّبٌ .

يَقِفَانِ عَلَى عَتَبَةِ الشَّرْفَةِ «
يَا اللَّهُ ! إِنَّ لِّلَّيْلِ رَوْعَةً لَا تَعْدِلُهَا رَوْعَةُ . . مَا أَجَلَ
أَنْ يُطَاقَ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ الْعَيْنَانِ فِي ذَلِكَ الظَّلَامِ ،
يَسْتَمْتِعُ بِسِرِّهِ ، وَيَسْتَمِعُ فِي سَكُونِهِ إِلَى الْحَانِ
أَشْجَى مِنْ الْحَانِ الْمَوْسِيقِيِّ .

مجاهد : وهل في الظلام ما يُعْجِبُ ؟
سهاد : فيه كثيرٌ من المفانين ، ولكن لا نستطيع أن نراها
كلُّ العيون !

مجاهد : أنا لا أرى الظلام إلا أنه وَحْشَةٌ وَانْقِبَاضٌ .
سهاد : ما أشبهَ اللَّيْلَ بِقَلْبِ الْمَحَبِّ . . تَحْسَبُهُ هَادِئًا سَاكِنًا ،
وَهَرِيمٌ خَصْمٌ تَضَارَبُ فِيهِ شَتَّى الْعَوَاطِفِ وَالزَّعَاتِ

- مجاهد : أَوْ قَلْبُ الْأَمِيرَةِ مُضْطَرَمٌّ بِحُبِّ ؟
- سهاد : انْظُرْ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، كَيْفَ تُطَلُّ عَلَيْهَا السَّمَاءُ
بِصَايِبِهَا الْجَمِيلَةِ ؟ تَأْمَلْ هَذِهِ الرُّحَابَ ، وَانْظُرْ إِلَى
الرَّمَالِ كَيْفَ تَلْتَمِعُ النَّمَاعُ اللَّوْاؤُ ؟ انْظُرْ إِلَى
تَلَاهَا ، انْظُرْ إِلَى وَدْيَانِهَا ، انْظُرْ إِلَى نَخِيلِهَا ، انْظُرْ
إِلَى مَا يَتَفَجَّرُ فِيهَا مِنْ عُيُونٍ ! .. أَلَا تُحْسِنُ أَنْ
قَلْبِكَ يَتَفَتَّحُ لَهَا ، وَيَخْفِقُ بِحُبِّهَا ؟
- مجاهد : كُلُّ هَذَا جَمِيلٌ حَقًّا ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَمِدُّ الْجَمَالَ مِنْ
وَصْفِكَ لَهُ . إِذَا وَصَفْتَ الْأَمِيرَةَ بِالْحَسَنِ شَيْئًا ،
أَسْبَغْتَ عَلَيْهِ جَمَالًا وَفِتْنَةً .
- سهاد : يَبْدُو لِي أَنَّ حَيَاةَ الصَّحْرَاءِ لَا تَرُوقُكَ !
- مجاهد : تَرُوقُنِي أَكْثَرَ مِنْهَا حَيَاةُ « بَغْدَادَ » .. « بَغْدَادُ »
الْعَظِيمَةُ بِقُصُورِهَا وَقُبَابِهَا .. بِحَدَائِقِهَا الْفَيَّاحَةِ ..
بِأَسْوَاقِهَا الْخَافِلَةِ .. بِبُلْيَالِهَا الْمَلَّاحِ عَلَى شَوَاطِئِ
« دِجْلَةِ » . كُلُّ شَيْءٍ فِي « بَغْدَادَ » جَمِيلٌ لَوْلَا ..

سهاد : لولا ؟ لولا ماذا ؟

مجاهد : لولا مُحلوها منك !

سهاد : وهل خَلَّتْ « بَغْدَادُ » من النساء ؟

مجاهد : « بَغْدَادُ » مُكَتَنَّةٌ بِبَنَاتِ حَوَاءَ .. ولكن ليس

يُذَنُّ « سَهَادُ » !

سهاد : « سَهَادُ » أليقُ مكانٍ لها رِحابُ الصحراء ..

مجاهد : لكي تظلَّ مخفيةً لا يرى نورها أحد .. إني

جئتُ لأُخْرِجَها من هذه المِجَاهِلِ ، وأجعلُ نورها

يُشِعُّ على « بَغْدَادَ » بِأَسْرِها .. إني جئتُ لأُنْقِذَها

من حياةِ الزُّوْبَةِ التي تَبَجَّتْ فيها نَفْسُها .. إني

جئتُ لأَجْعَلَهَا تَتَمَتَّعُ بِمِباحِ الحَيَةِ لزوجيَّةِ !

سهاد (مبتسمة ، في تخابث) وهل عندكم رجالٌ في

« بَغْدَادَ » هم أَكْثَرُها لـ « سَهَادَ » ؟

مجاهد : هناك أَمِيرٌ واحدٌ لا ثَانِي لَه .. هو الذي يَصْلُحُ

لها وَتَصْلُحُ لَهُ .

سهاد (مستفسرةً): وهذا الأمير ...
مجاهد : أميرٌ عظيم ، ثروته وسَطوته وجأهه ملء الدنيا
وسُغل الناس !

سهاد (مستفسرةً، أيضاً): وهذا الأمير ..
مجاهد (في وجدي ، وقد تناول يدها) : يحبها ، يعبدُها ،
يَهَبُها كل ما تصبو إليه نفسها .. في سبيل أن يَسْمَعَ
من فيها كلمة القبول والرضا .

سهاد (تُحدِّقُ فيه طويلاً ، ثم تبتسم .. بعد صمت) :
عندى قصة قصيرة أريد أن أقصها على مسامعك ..
مجاهد (وقد بُوِغَتْ) : قصة ؟ ...

سهاد : قصة قديمة أسطورة .. أترغبُ في سماعها ؟
مجاهد : قُصِّ ما شئت .. إني مُصنِّعٌ إليك !

سهاد : كانت في قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ،
فتاةً سرَّيَّة من بيت شرفٍ ومجدٍ تُقيمُ في قصرٍ
موفرٍ الترفِ والنعيم : وما كان يُعوزُ هذه الفتاة .

إلا شيء واحد : أمل كل امرأة من دُنياها ، ذلك
هو عُشورُها على زوجٍ يُقاسِمُ حياتها ، ويكفُلُ
سعادتها ... أَقَدِّمَ لِحِطْبَتِهَا أناسٌ كثيرٌ من عِلْيَةِ
القوم ، بين أميرٍ ووزير ، وذِي حَسَبٍ وَلَسَبٍ ؛
ولكن لم يَنْلُ إِعْجَابَها واحد من هؤلاء .

مجاهد : لماذا ؟

سهاد : لعلها كانت غريرةً مِنْهُوَّةً ... مِنْهُوَّةً بِجَاهِلِها ، أو
بِثَرَاتِها ، أو بِسُلْطَانِها .. لا يَدْرِي أَحَدٌ !

مجاهد : من كانت تَنْتَظِرُ بعد هؤلاء لِيُنَالَ إِعْجَابُها ؟

سهاد : لم تَكُنْ هِيَ نَفْسُها تَعْرِفُ ... ومع ذلك ظَلَّتْ
تَتَرَقَّبُ .

مجاهد : وهل اِتَّظَرَتْ طويلاً ؟

سهاد : اِتَّظَرَتْ طويلاً .

مجاهد : وهل صَادَقَتْ الشَّخْصَ المُوَافِقَ لَهَا بعد طول
الانتظار ؟

— ٩٢ —

سهاد : أجل ، وُفِّتْ إِيَّاهُ !

مجاهد : لا بدّ أن يكونَ قائداً من عِلْيَةِ القَوَادِ ...

سهاد : كلا !

مجاهد : إذن فهو وزيرٌ عظيمُ الشأن ...

سهاد : ولا هذا !

مجاهد : أيكونُ إذن أميراً عريضَ الجاه ؟

سهاد : تُظن غيرَ ذلك !

مجاهد : عجبا ...

سهاد : (وقد صمّيتُ بُرْهَةً ، تُحَدِّقُ حَالِمَةً) : شابٌ فقير

لا في العِيرِ ولا في النَّفِيرِ !

مجاهد : ما صناعتُهُ ؟

سهاد : لا أعرفُ له صناعة !

مجاهد : صُملوكٌ شَرِيدٌ ؟

سهاد : كلا ، أيها الأمير ... كان صاحبَ قَنٍّ رفيع !

مجاهد : صاحب قَنٍّ رفيع ؟ !

— ٩٣ —

سهاد : كان يَصْفِرُ بالنأي ١٠٠. لنفسه فَنَهْ ، لا يتكسب به ...
يَحْدِلُ طولَ وقته صفارته ، يُنَاجِيهَا وتُنَاجِيهِ ١
مجاهد : (وقد بدأ يُعْنَى بالحديثِ عنايةً جِدِّيَّةً) : كان صافراً
بالنأي ؟ ١

سهاد : هذا هو الذي استطاع أن يَحْتَدِبَ قلبها
مجاهد : (صائحاً ، في اهتمام) : هل أَحْبَبْتُهُ ؟ أَحْبَبْتُ صاحب.
النأي الشريد ؟

سهاد : أجل ، أَحْبَبْتُهُ ؛ عَشِيقَتُ صفاء نفسه ، ورقة وجدانه ،
وسِخْرَ ألحانه ١

مجاهد : (في اهتمام بالغ) : وهل كان يَقْدِمُ إليها في القصرِ .
يُسْمِعُهَا صَفِيرَهُ بالنأي ؟

سهاد : لم يَدْخُلْ قصرَها قط ١٠٠. كانت تَسْمَعُ إليه ، وهو .
يَصْفِرُ بنايه على البعد ١

مجاهد : (وما زال اهتمامه يَتَزَايِدُ) : وهل وقعَ بَصَرُها
عليه ؟

- ٩٤ -

سهاد : لم تَرَلْهُ شَخْصاً ولم تُبَادِلْهُ حَرْفاً !

مجاهد (صائحاً) . وأَحْبَبْتُهُ ؟

سهاد : كانت تَعُدُّ اللَّيَالِي سَاهِرَةً لَانْدُوقُ النَّوْمَ .. تَسْتَعِيدُ

فِي خُلُوتِهَا الْحَانَةَ الرَّائِعَةَ !

« (مجاهد) يَعْصِرُ جَبِينَهُ مَهْتَاجَ النَّفْسِ »

مَا لَكَ ؟

مجاهد : شَيْءٌ لَيْسَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصْدُقَهُ !

سهاد : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّهَا أُسْطُورَةٌ ؟

مجاهد (مَغْمَغَمًا) : حَقًّا أُسْطُورَةٌ . . .

« فِي اهْتِمَامٍ » :

وَهَلْ رَأَاهَا صَاحِبُ النَّاي ؟

سهاد : لَا أَظُنُّ !

مجاهد : لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ رَأَاهَا .

سهاد : مِمَّ أَيْنَ يَرَاهَا ؟ كَانَتْ دَائِمًا فِي قَصْرِهَا ، لَا تَبْرَحُهُ

إِلَّا إِلَى الْبُسْتَانِ تَتَنَزَّهُ !

- ٩٥ -

مجاهد : مسكين ذلك الشاب . . لو كان يدري أنها تحمِلُ له
الحب . لو رمى نفسه تحت أقدامها .

سهاد : من يدري ؟ إنه رجلٌ صاحبُ فـ . . وربما كانت
له غرائبُ أفكارٍ في الحياة والناس !

مجاهد : كيف يكون ذلك ؟

سهاد : لو كان يدري كيف ظَلَّتْ نُجْبُهُ ، وكيف آثَرَتْ أَنْ
تعيشَ معه عَيْشَةَ السَّدَاجَةِ والحرِّيةِ ، وتنزِلَ
عن غِنَاهَا ومَجْدِهَا في سبيلِ فَنِّهِ وهواه ، لطارحها
هذا الحب !

مجاهد : أما وقد كانت تُسَكِّنُ له هذا الحبَّ كله ، فلمَ لم تَسْعَ
إليه ؟ لمَ لم تكشفْ له عن قلبها ، وتصارحه بحبها ؟

سهاد : كادت تَسْعَى إليه ، ولكن . . .

مجاهد : ولكن ماذا ؟

سهاد : اخْتَفَى جَفَاءُ !

مجاهد : أَهْرَبَ ؟

— ٩٦ —

سهاد : بل مات ... راح فريسة السباع ... لم تَبْقَ منه
إلا خِرْقٌ مُمزَّقة من ثيابه ...

مجاهد (مردداً في تفكير) : راح فريسة السباع ؟
« تَصْنَعُ (سهاد) وهي تحقّق أمانها ...
يطول صمتها »

(مجاهد) يتابع حديثه : «

ثم ماذا ؟

سهاد : ماذى تَبْغِي أن أقول ؟

مجاهد : الحكاية لما تَلَمَّته ...

سهاد : ماذا تريد أن تعرف وراء ذلك ؟

مجاهد : أريد أن أعرف ماذا صَنَعَتِ الفتاة بعد مَقْتَلِ

حبيبها الشرير ؟

سهاد : ما ظَنُّكَ بما صَنَعَتْ ؟

مجاهد : ظَنُّي أنها تنساه ... وتُقبِلُ على الزواج بأمير

كُفِّ لها ...

سهاد : ما كان لها أن تنسأ... لقد بقيت أمانة على جبهها
له ، تساهرُ خيالَه ، وتُصنِغِي إلى الحائِه ، وتُعرِضُ عن
كلِّ شئٍ عَدَاهُ في الوجود .
« فترةٌ صمت .

(مجاهد) يروحُ ويَجِيءُ ساهماً برُهةً ، ثم يقفُ
قُبالتها ويقول : :

مجاهد : أوائقةٌ أنتِ أن ما قصصتِه علي هو القصة
يتامها ؟ ...

سهاد : لقد قصصتها كلها عليك .

مجاهد : لم تُغفلي منها شيئاً ؟

سهاد : (في شيء من التخابث) : الحق أني سمعتها كما
رويتها لك !

مجاهد (في تخابث أيضاً) : ولكنني سمعتها أطول من
ذلك ... وأعرفُ لها نهايةً غيرَ تلك النهاية !

سهاد : أكنتَ تعرفها قبلَ أن أقصّها ؟

-- ٩٨ --

مجاهد : يَخِيلُ إِلَى أَنِي أَعْرِفُهَا . . .

سهاد : مِمَّنْ سَمِعْتَهَا ؟

مجاهد : أَلَيْسَتْ أُسْطُورَةً ؟ أَوْ لَيْسَتْ الْأَسَاطِيرُ تَتَنَاقَلُهَا

الْأَلْسُنُ ؟ أَنْجِبِينَ أَنْ تَسْمَعِي بِقِيَّتِهَا مِنِّي ؟

سهاد : أَحِبُّ إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا نَعَا . . .

مجاهد : كَانَ صَاحِبُ الْبَايِ هَذَا يُغَادِرُ كُؤُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ ،

لَا يَذَرِي أَيْنَ تَمُضِي بِهِ قَدَمَاهُ . كَانَ يَجُوبُ الْخُلُوعَاتِ

وَبَيْنَ يَدَيْهِ صَقَّارَتُهُ ، يَسَامِرُهَا وَتَسَامِرُهُ . . .

وَذَا صَبَاحٍ قَادَتْهُ خُطَاهُ نَحْوَ قَصْرِ الْفَتَاةِ ، فَبَصُرَ بِهَا

فِي الْبُسْتَانِ خِلَالَ الْأَزْهَابِ ، تَضَحُّ بِهَا لِمُتَّةٍ مِنْ

التَّوَابِعِ . . . بَهْرَةً جَمَالِهَا . . . لَيْتَ كَالْمُخْبُولِ يَرْتَوِ

إِلَيْهَا . وَظَلَّ كَذَلِكَ وَقْتًا ، ذَاهِلًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

سِوَاهَا ، حَتَّى عَنْ نَفْسِهِ .

سهاد : أَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ؟

مجاهد : كان مختبئاً خلف أفنانِ الشجر . . . وما فتىء في
مَكَانِهِ يَرَوِي رُوحَهُ مِنْ يَتَابِيعِ حُسْنِهَا ، حتى
أَلْفَاها تَعَوَّذُ إِلَى الْقَصْرِ .
« (مجاهد) يَصُمْتُ »

سهاد : (في اهتمام) : ثم ماذا ؟
مجاهد : وَجَدَ نَفْسَهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُسَكِّرُ فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَانِهِ
خَلْفَ أَفْنَانِ الشَّجَرِ ، مَرْتَقِباً حَبِيبَتَهُ .
سهاد : حَبِيبَتَهُ ؟

مجاهد : حَقًّا كَانَ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يَقُولَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، إِلَّا
لِنَفْسِهِ . . . الْحَشَرَةُ الضَّئِيلَةُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ
لِلْقَمَرِ فِي عُلْيَايَتِهِ : أُحِبُّكَ !
سهاد : (في اهتمام) : أَلَحَقًا أَحَبَّهَا ؟

مجاهد (في وجد) : أَحَبَّهَا حُبًّا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ أَحَدٌ . . .
سهاد : لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ؟ مُسْكِينِ . . .
مجاهد : بَقِيَ عَلَى حَالِهِ تِلْكَ فَتْرَةٌ ، يَغْدُو إِلَى الْبُسْتَانِ لِيَرَى

— ١٠٠ —

حَبِيبَتِهِ مِنْ خِلَالِ الْأَغْصَانِ ... كَانَ يَنْحَتَرِقُ يَوْمًا
بَعْدَ يَوْمٍ ، لَا يَجِدُ أَمَامَهُ إِلَّا صَفَّارَةً تُشْكُو إِلَيْهَا
تَبَارِيحَ الْهَيَامِ !

سهاد : مسكين ...

مجاهد : أجل ، مسكين ... غير أن هذا المسكين آلى على
نفسه أن تكون الفناء من نصيبه . لا بد أن يبدل
قصارى إمكانه في سبيل الزواج بها .

سهاد : وماذا صنع ؟

مجاهد : كان يفكر ليل نهار في هذا الشأن ، وهو
لا يحسن لعقدته حلاً .. أخيراً مضى اليأس ، فهام
في جنبات الصحراء يطلب الموت لينجو من
ذلك العذاب .

سهاد : إذن هو الذى ألقى بنفسه إلى السباع !

مجاهد : نعم هو .

سهاد : أمات ، كما أخبرتك ؟

— ١٠١ —

« يَضْمُتْ (مجاهدٌ) وقتاً حياً لها ، وهو يُحَدِّقُ

فيها ، ثم يصيح :

مجاهد : كلاً لم يَمُتْ يا « سهاد » !

سهاد : (مرددةً في فرحٍ تخالطُهُ الدهشة) لم يَمُتْ !
لم يَمُتْ !

مجاهد : نعم لم يَمُتْ ... رأى السَّبَاعَ آتيةً صَوَّبه ، فوقف
يَنْتَظِرُهَا . وبغته مَثَلٌ لَهُ شَبَّحُ حَبِيبِيهِ يَهْتَفُ بِهِ
قائلاً : لا تُنَلِّقْ بِنَفْسِكَ إِلَى السَّبَاعِ ، بل احْرِصْ عَلَى
حَيَاتِكَ ، واعْمَلْ جُهِدَكَ لِلْحُصُولِ عَلَيَّ ! .. وكانت
السَّبَاعُ حِينَئِذٍ قَرِيبَةً مِنْهُ ، وكادت تَفْتِكُ بِهِ ؛
فما هو إلا أن تَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، وألقاها عليها ، ثم
وَلَّى هَارِباً .

سهاد : وإلى أين ذَهَبَ ؟

مجاهد : لم يَكُنْ هُوَ نَفْسُهُ يَعْرِفُ لَهُ مَقْصِداً ... ظَلَّ يَعْدُو
وَيَعْدُو ، حتى أَدْرَكَهُ الإِغْيَاءُ ، فَجَلَسَ يَسْتَرِيحُ ،

— ١٠٢ —

ثم استأنفَ عَدُوّه ؛ حيناً يَنْجَرِي ، وحيناً يقف ...
والفَيّ نفسه أَمَامَ كُوخٍ وَضِيع ، كُوخٍ شَاخِصٍ
وَحَدّه في هذه الصَّحراءِ المَوْحِشَةِ .

سهاد : كُوخُ مَنْ ؟

مجاهد : كُوخُ السَّاحِرِ الهِنْدِيِّ دَماها نانا، صَانِعِ الْمُعْجِزَاتِ ..
وقفَ صَاحِبُ النِّامَى قِبَالَتهِ ، فَصَاحَ بِهِ هَاتِفٌ فِي
أَعْمَاقِ نَفْسِهِ ، يَقُولُ : اذْخُلْ ، وَجَرِّبْ حَظَّكَ مَعَ
السَّاحِرِ الْعَظِيمِ ..

سهاد : وَمَاذَا عَمِلَ ؟

مجاهد : بَلَغَ مَا يُرِيدُ .. بَاعَ لِلْسَّاحِرِ رُوحَهُ ، رُوحَ الْفَنَانِ
الْفَقِيرِ ، وَاشْتَرَى بِهَا رُوحَ الْبَطْلِ ذِي الْجَارِ
وَالسُّلْطَانِ !

سهاد (فِي جَزَعٍ وَدَهْشَةٍ) صَنَعَ هَذَا ؟

مجاهد : مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَطِيعَ خِطْبَةَ حَبِيبَتِهِ .. ابْتَسَمَ لَهُ
الْحَظُّ ، وَعَادَ مَعَ الْيَافِ قَائِداً مُظْفِراً عَظِيمَ الشَّانِ ،

- ١٠٣ -

غني عريض ، واسم طائر الصيت !
سهاد (مغمغة ، في ذُهل) : غني عريض ، واسم طائر

الصيت ؟

« تصيح : »

أهذا هو صاحب الناي الذي كان يحرك قلبها
بالحانه ؟

مجاهد : (صائحا أيضا) : هو عينه الذي تراه أمامها !

« يأخذ بيديها ، يريد أن يضمها .

(سهاد) محدقة فيه ؛ تردده بلطف .

هو يتابع حديثه : .

بدية أنها لا تأبى أن تمتزوجه .. أليس هو حبيبها

القديم الذي أغرمت به وأغرمت بها ؟

سهاد (واقفة تنظر إليه ، في حيرة) أمتأكد أنت أن

ذلك الفائدة المظفر هو حبيبها القديم ؟

مجاهد : كل التأكد ... إن صفارته مازالت معة ، يحتفظ

بها نَذَاراً لآيَامِ هَوَاهُ ... تلكِ هِيَ فِي جَنِبِهِ ...

سهاد (فِي اهْتِمَامٍ : صَفَّارَتِهِ ... صَفَّارَتِهِ ... تُرَى هَلْ

يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْمِعَهَا لِحَاً مِنْ الْحَائَةِ الْخَالِدَةِ ؟

» (مَجَاهِدٌ) يَتَضَاكُ ، ثُمَّ يُخْرِجُ النَّايَ مِنْ جَنِبِهِ

وَيَحَاوِلُ أَنْ يَصْفِرَ بِهِ ، فَتَخْرُجُ أَصْوَاتٌ نَاشِزَةٌ .

يَحَاوِلُ مَرَاتٍ فَلَا يُوَفِّقُ ، فَيُلْقِي بِالنَّايِ فِي

عُرْضِ الْبَهْوِ ،

مَجَاهِدٌ : نَآيٌ خَرِبٌ !

سهاد : أَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ الْأَمِيرَ أَنَّ الْفَنَانَ رَاحَ فَرِيَسَةً

السَّبَاعِ !

مَجَاهِدٌ : أَلَا تُصَدِّقُنِي ؟

سهاد : عَفْوَكَ !

مَجَاهِدٌ : هَذَا هُوَ الْبَرَهَانُ قَائِماً ... تِلْكَ هِيَ الصَّفَّارَةُ أَمَامَكَ

لَمْ تُفَارِقْنِي لِحْظَةً .

سهاد (فِي تَخَابُثٍ) : لَعَلَّهَا صَفَّارَةٌ فَقَدَهَا صَاحِبُهَا ،

فَعَثَرَتْ عَلَيْهَا مُصَادَقَةً وَاتِّفَاقًا .

مجاهد (في إخلاص) : أَقْسِمُ لَكَ يَا «سَهَادُ» إِنِّي أَنَا الْفَتْنَانُ
الْفَقِيرُ صَاحِبُ النَّايِ الَّذِي كَانَ يُسَمِّعُكَ أَلْحَانَهُ
الْجَمِيلَةَ ... أَنَا الْفَتْنَانُ الْفَقِيرُ الَّذِي امْتَزَجَتْ رُوحُكَ
بِرُوحِهِ ... أَنَا الْفَتْنَانُ الْفَقِيرُ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ
يُدَاعِبَ أَوْتَارَ قَلْبِكَ ... أَنَا الَّذِي آثَرْتَهُ مِنْ بَيْنِ
النَّاسِ جَمِيعًا ، وَخَصَّصْتِهِ بِحَبِّكَ !

سهاد (في حَسْرَةٍ) لَا أَذْرِي لِمَاذَا لَا أَشْعُرُ بِأَنَّكَ الْفَتْنَانُ
الْفَقِيرُ ... !

مجاهد : قَدْ رَى أَنِّي لَسْتُ لِإِيَّاهُ ... هَبِي فَتَانُكَ قَدْ افْتَرَسَتْهُ
السَّبَاعُ ... بَيْنَ يَدَيْكَ الْأَمِيرُ «مَجَاهِدُ» جَاءَكَ
خَاطِبًا . الْأَمِيرُ «مَجَاهِدُ» الَّذِي سَمِعْتَ بِمَجَاهِدِهِ
وَعِزَّتِهِ وَسَطَوَاتِهِ .. أَلَا يُعْجِبُ الْأَمِيرَةَ «سَهَادُ» ؟
سهاد : إِنْ «سَهَادُ» مَا بَرَحَتْ تُحِبُّ فَتَانَهَا الْفَقِيرَ صَاحِبَ
النَّايِ !

- ١٠٦ -

مجاهد : يُحِبُّ الصُّعْلُكَ الشَّرِيدَ ؟

سهاد : يُحِبُّهُ !

مجاهد : يُحِبُّ البائِسَ الوَضِيعَ الذى لم يكنْ يَمْلِكُ

ما يَتَبَلَّغُ به !

سهاد : 'مُحِبُّهُ' ... !

مجاهد : حَدِّثِي يَا « سهاد » .. قلتُ لكِ إِنِى أَنَا الفَنَانُ

الفَقِير .. أَنَا حَبِيبُكَ الْمَشْهُود !

سهاد (فى حَسْرَةٍ) : الفَنَانُ الْفَقِيرُ باعَ رُوحَهُ السَّامِيَّةَ

الصَّافِيَّةَ ، واشترى بها رَخِيسَ الْجَاه !

مجاهد (صَائِحًا) : صَنَعْتُ هَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ أُرْوَكَ

وَأَحْسِنَ فى عَيْنِكَ !

سهاد . يَا لِلْخُسْرَانِ ... !

« تَتَفَحَّصُهُ » :

طالَ بَحْثِي عَنِ الْفَنَانِ الْفَقِيرِ فَيْكَ ، فلم أَعثرْ له

على أثر ... كنتُ أتمثِّلُهُ على نحوٍ آخَرَ ؛ طَيفًا

سماوياً من عالم الأحلام ، نعمة عذبة يتوضّع
فيها الفنُّ والجمال .

مجاهد (مستهزئاً) الفنُّ والجمال ؟

« يصبحُ في جدّ : »

والغنى والجاه ؟

سهاد : ألا تستطيع أن تُقدّم لي غير الغنى والجاه ؟

مجاهد : (صائحاً) : الحبّ ... !

سهاد : حقاً تستطيع أن تُقدّم الحبّ ... ولكنّي

لا أدرى هل أستطيع قبوله ؟ ... قلبي لا يختلج

لك بحبّ يا « مجاهد » ... أعذّرني !

مجاهد . (في خيبة) : آه ...

سهاد : « بغدّاد » ، في طولها وعرضها حافلة بالغيّد إلح ...

وربما كان حظّك معهنّ أطيّباً ...

مجاهد (مردّداً لنفسه) الحبّ ... الحبّ ...

سهاد : ميدانُ الحبّ غيرُ ميدانِ البطولة ، فليس لزاماً أن .

يَنْتَصِرَ فِيهِ الصَّنَادِيدُ الشُّجْعَانُ ! ...

مجاهد (لنفسه) : آه يا عرَّافة الصحراء .. حَقًّا تَكْشِفُ
لَكَ حَقِّي !

« يقول مردداً عبارة قالتها : »
أنتَ على الدوامِ مُتَّصِفٌ ، مادمتَ ممتطياً جِوَادَكَ ،
شاهراً سَيْفَكَ !

« ثانياً : »

لا .. لا . لا أريدُ انتصاراً في الحرب ! . ما أهُونَ
انتصاراً في جميعاً إزاء انتصاري في مَيْدَانِ الْحُبِّ ! ..

هَيَّا « سهاد » ... عَلَامَ عَوَّاتٍ ؟

سهاد : دَعْنِي أَفَكِّرْ وَقْتاً ... لَا تُعْجَلْنِي !

« تخرج (سهاد) في مِشْيَةٍ هَيِّنَةٍ مُطَاطِنَةً
رَأْسَهَا .

(مجاهد) يَتَّبِعُهَا بِظَرْهِهِ فِي لَهْفَةٍ وَجَزَعٍ .

لا تكاد تَخْتَفِي ، حَتَّى يَذَرَعَ الْبُهْوُ مُغْضَباً .

— ١٠٩ —

يدخل (زياد) ،

مجاهد : (يلتفت إليه) : ماذا جاء بك ؟

زياد : لا أجِدُ إلى النومِ سبيلا . أرقُّ على أرقِّ !

مجاهد : ولماذا ؟

زياد : ألا تُكاشِفُنِي لمَ قَدِمْنَا ؟

مجاهد : أَمِنْ أَجْلِ هـَذَا لا نَجِدُ سبيلا إلى المنام ؟

ما أَسمَجَكَ ! .

زياد : أنا رَجُلٌ حَيٌّ . . إذا صادَقَني لُغْزٌ يُعَيِّنِي أمره ،

عَزَفْتُ نَفْسِي عن الطعامِ والشرابِ حتى أَحتالَ له ..

مجاهد : إذن فلتَبْقَ كذَلِكَ لا طعامَ ولا شرابَ ولا منامَ ! .

زياد : أَمُصِرُّ أَنْتَ على أَنْ تَكُنْ عَنِ سِرِّكَ المِهْمَةِ التي

جِئْتَ مِنْ أَجْلِهَا ؟ .

مجاهد : المِهْمَةُ ؟ .. المِهْمَةُ ؟ .. صدَّعْتَ رَأْسِي بِسُؤَالِكَ .

منذُ بَدَأْنَا رِحْلَتَنَا وَأَنْتَ دَائِبُ السُّؤَالِ ، كَثِيرُ

الإِلْحَاحِ ، لَيْسَ لِفُضُولِكَ حَدٌّ تَنْتَهِي إِلَيْهِ ! . . .

— ١١٠ —

زياد : أَقْسِمُ لَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ إِنَّهُ لَوْلَا . . .
مجاهد : (يَقاطِعُهُ) . لَا تُقْسِمُ . . سَأَصَارِ حُكَّ بَكْلٍ شَيْءٍ .
انْتَهتِ الْمُهْمَةُ . . اسْتَرِخْ !

زياد : ماذا بك ؟
مجاهد : قلتُ لَكَ : انْتَهتِ الْمُهْمَةُ . .
زياد : لم أَفْهَمْ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً . .
مجاهد : حَسْبُكَ هَذَا . . الْبَقِيَّةُ سِيرٌ مِنْ أَسْرَارِ الدَّوْلَةِ !
زياد : (مَغْمَغَمًا) : أَيُّ سِيرٍ تَعْنِي ؟
« بُرْهَةٌ صَمِتَ . . . »

(مجاهد) يَخْطُ بِضَعِ خُطَوَاتِ مَفْكَرٍ ؛ ثُمَّ
يَقِفُ جُفَاءً أَمَامَ (زياد) ،
مجاهد : مَا مَبْلَغُ بَصَرِكَ بِالْحُبِّ يَا « زِيَادُ » ؟
زياد : (مَدْهُو شَأً) : الْحُبُّ ؟
مجاهد : أَمَا سَبَقَ لَكَ أَنْ تُحِبَّ ؟
زياد : كَيْفَ لَمْ أَحِبَّ ؟ وَحَيَاتِي سِلْسِلَةُ حُبٍّ وَغَرَامٍ ؟ !

وهل أوتيت من الحب؟ وما؟ ... لست كالأمير ،
يا بني قلبه ان أذن للحب !

مجاهد (متضاحكاً ، هازئاً) أ. مُريدُني أن أحب؟ أنا؟
أنا فوق الحب يا . زياد ، ... ليس الحب إلا
عاطفة هي آية الضعف والخليل . سلوة يُلهم بها
المتعطّلون !

زياد : شكر آلك أها الأمير . . سلوة المتعطّلين؟ ولماذا
تسألُ عنه إذن؟

مجاهد : أبغى أن أعرف لماذا لم تقبل الأميرة « سهاد » أن
تنزّوج « سيف الدين » على الرّغم من شجاعته ،
وسعة رُؤيته . جمال مرآه . . هذا كله إلى
جانب حبه لها ؟ !

زياد : وهل يسكفي ذلك ؟

مجاهد : وماذا يبقى بعد ؟

زياد : يبقى أن نحبه هي !

مجاهد : وما الذى منعها أن تحبّه ، مع ما ذكرته من مزايا ؟
 زياد : سؤالٌ وجيه... سؤالٌ عَرِيس... ولكنّ الجوابَ
 عنه هيئنْ ميسور... سأضربُ لك مثلاً : افترض
 أن رجلاً صَفَعَكَ على حينِ غَفْلَةٍ !

مجاهد : صَفَعَنِي ؟

زياد : قلتُ لك هَبْهُ فَعَلَ ذلكَ .. لا رَيْبَ أنه صَفَعَكَ
 لما يُسَكِّنُهُ من كُرْهِكَ . فإذا تصَنَّعُ أنت ؟
 مجاهد : أرُدُّ له الصَّفْعَةَ بِمثُلها ...

زياد : هذا حقّ .. ولماذا تَرُدُّ له الصَّفْعَةَ بِمثُلها ؟

مجاهد : أَحَسَسْتُ كُرَاهِيَةَ له دَفَعْتَنِي إلى صَفْعِهِ !

زياد : اتَّفَقَا ... الحبُّ والكُرهُ سَيَّانٍ : لا بدّ أن يُحِسَّهُ
 المرءُ فى دُخِيلَةِ قلبِهِ !

مجاهد : ألم يستطع « سيفُ الدين » أن يجعلَ قلبَ الأميرةِ
 يشعُرُ له بشىء ؟

زياد : لم يستطع أن يوجهَ إليها تلكَ الصَّفْعَةَ المُشْعِرَةَ !

- ١١٣ -

مجاهد : وكيفَ عَزَّ ذَٰلِكَ عَلَيْهِ ؟

زياد : عجباً... أترى الحبَّ تجارةً يَبِيعُ وِشْرَاءَ .. تعطيني
نُقُوداً فَأُعْطِيكَ حُبّاً ؟ ... لا ، لا ، لا ... الحبُّ أسمى
وأعظمُ ؛ إن كنوزَ الدنيا لا تستطِيعُ أن تكون
ثمناً لقلبي واحد... أنسيتَ قِصَّةَ الحُرِّ التي قصَّها
علينا الدليلُ ١٩

مجاهد : (متضيقاً) : أيُّ حُرٍّ ؟ ما هذا الهَذَرُ ؟

« في هذه اللحظة تدخل (سُهاد) .

(مجاهد) و (زياد) يصممان ،

سهاد : أَقَطَعْتُ عَلَيْكُمَا مَا كَانَ بَيْنَكُمَا مِنْ حَدِيثٍ ؟

زياد : كلا . لقد كنَّا نَتَلَسَّى بِكَلَامِ عَابِرٍ ، ومع ذلك فلا
بأسَ أن نأخذَ رَأْيَ الأَمِيرَةِ فيما أَفَضْنَا فِيهِ .

سهاد : فِيمَ كُنْتُمَا تَتَحَدَّثَانِ ؟

زياد : في الحبِّ ! ما رأيتُكَ في الحبِّ ؟

سهاد : الحب ؟ ... الحب عاطفة لا بد أن تكون ...
 مجاهد : (مقاطعا) : تأذن لنا الأميرة في الإنصراف ؟ ..
 « زياد » رجل ثرثار ، إذا اندفع يتكلم كان
 كالسيل لا يردّه شيء ... والحب موضوع متشعب
 الأطراف ، كالصحراء ، لا يأمن فيها السائر أن
 يضل . ١ .

« يلتفت إلى (زياد) » .
 تقدّمني يا « زياد » ، وموهم أن يعلّوا الركب
 للرحيل ... سنسير بعد قليل ...
 « يخرج (زياد) »

(مجاهد) و (سهاد) صامتان بؤهة .
 (مجاهد) يقول ، وهو يهيم إلى الصفارة ، :
 تسمح لي الأميرة أن آخذ صفاري معي ؟
 سهاد : لا مانع عندي من إعطائك إياها إذا استطعت

أن تصفِرَ بها .

« الامير يتناول الصفارة ، ويحاول أن يصفِرَ بها

فلا يُفْلِح .

يرمى بها . »

مجاهد : قلتُ : إنها صفّارة خربّة !

سهاد : لا يبدؤ ذلكَ عليها !

« (مجاهد) يلتقط الصفّارة مرة أخرى . ويريد

وضعها في جيبه . »

سهاد : لا ، أيها الامير . . . دَعِ الصفّارة هنا . . . هي كل

ما بقيَ لي من هذه الدنيا . . .

مجاهد كلُّ ما بقيَ ؟ . . .

سهاد : كلُّ ما بقيَ لي من آمالي وأحلامي الحلوّة !

مجاهد (يُناولُها الصفارة) : سأهكّك إياها قطعة

من قلبي . . .

سهاد : وداعاً ، أيها الامير . . .

— ١١٦ —

مجاهد : وداعا ، أيتها الأميرة ...

سهاد : أرجو ألا تسكون حافداً عليّ !

مجاهد : كلا ، هياتِ أرحقِدَ عليك ... إن كان لي أن

أحِقِدَ فعلي نفسي ، إذ بُعِثَ للساحر روحى ، من أجل ...

سهاد (متممة) : من أجل امرأة ... إلا أن هذه المرأة

هى التى هَيَّأتْ لك أيها الأميرُ أجملَ ساعات

حياتِكَ ... إنها تستحقُّ حبِّكَ !

مجاهد : قلتُ لك : إني لنُ أرحِقِدَ عليك ...

« ينظر إليها طويلاً . ثم ينسكب على يديها ،

فيقبلها بحرارة

حينما ينهض ، تراه الأميرة يكفكف دُمعهُ

بينده ...

منهاد : البكاء أيها الأمير ليس من شيمِ الأبطال !

مجاهد : البطلُ يستسيح دموعه إذا انهزمَ في موقعة

فاصلة !

— ١١٧ —

سهاد : (مغممة) : موقعة فاصلة ؟ .

« فترة صمت .

يَنَحْنِي (مجاهد) أمام (مُهَاد) .

يَتَجِهْ وَيُبدَأُ نَحْوَ الباب .

« (سهاد) تَرْقُبُ خُطَاهُ فِي اهْتِياج . »

ستارة الختام



أحدث مؤلفات محمود تيمور

ابن جلا	شباب وغانيات
أبو الهول يطير	كل عام وأنتم بخير
سلوى فى مهيب الريح	اليوم خمر
خلف اللثام	إحسان لله
كليبو باترة فى خان الخليلي	حواء الخالدة
نداء المجهول	شفاه غليظة
مكتوب على الجبين	عطر ودخان
سهاد	فرعون الصغير
قال الراوى	عوالى
قنابل	المنقذة
فن القصص	أبو شوشة
بنت الشيطان	المخبأ رقم ١٣

